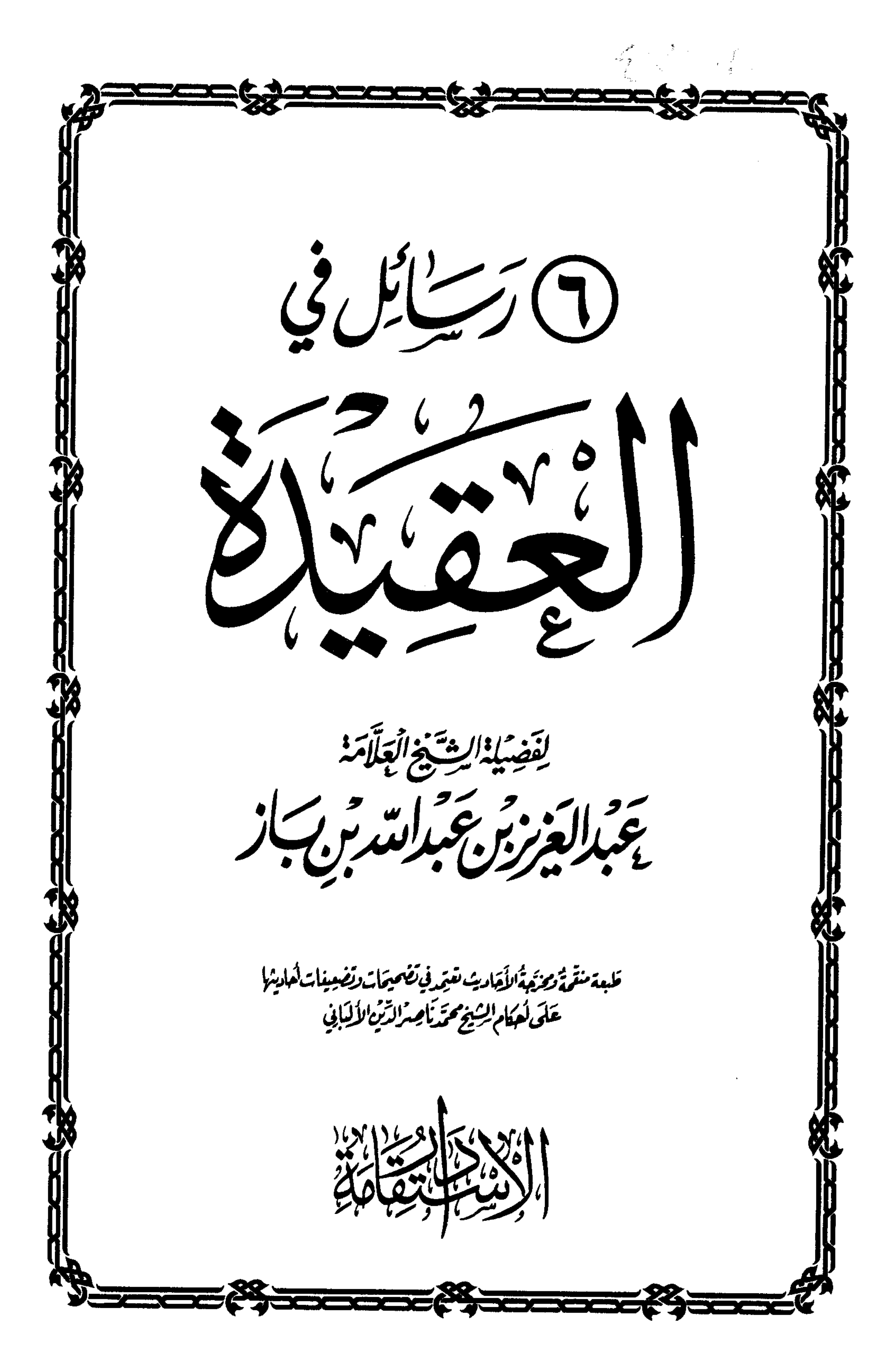


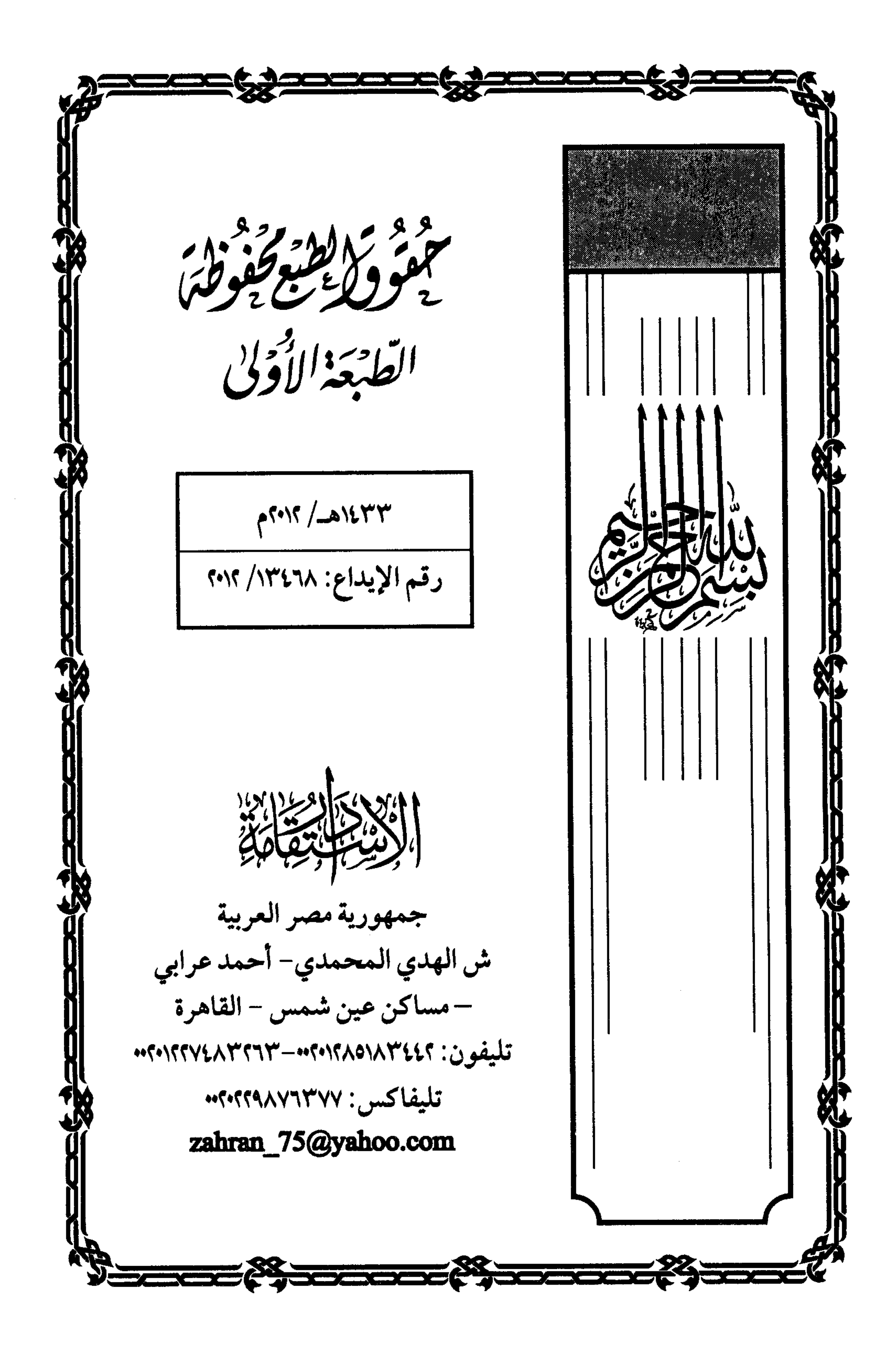
٦ رسائل في العقيدة

لفضيلة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

طبعة منقحة ومخرجة الأحاديث تعتمد في تصحيحات وتضعيفات أحاديثها
على أحكام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

دار الاستقامة



الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ١٣٤٦٨/ ٢٠١٢

دار الاستقامة

جمهورية مصر العربية
ش الهدي المحمدي- أحمد عرابي
- مساكن عين شمس - القاهرة
تليفون: ٠٠٢٠١٢٨٥١٨٣٤٤٢-٠٠٢٠١٢٢٧٤٨٣٢٦٣
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٩٨٧٦٣٧٧
zahran_75@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المعتني

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

❑ **أما بعد:**

فهذه مجموعة قيمة من الرسائل العلمية والدعوية لفضيلة الشيخ العلامة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، جمعناها في هذا الكتاب حيث أنها تتعرض لقضية معينة لطالما تناول العلماء معالجتها؛ ألا وهي قضية (العقيدة وأهميتها).

❏ وقد تضمن هذا الكتاب ست رسائل، وهي:

١- عقيدة أهل السنة والجماعة.

٢- العقيدة الصحيحة وما يضادها.

٣- أخطاء في العقيدة.

٤- القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها.

٥- فوائد مهمة تتعلق بالعقيدة.

٦- محاضرة في العقيدة.

❏ وكان عملنا في هذا الكتاب كالتالي:

أولًا: استللنا هذه الرسائل من «مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، ورتبناها ترتيبًا موضوعيًّا بحسب أهميتها.

ثانيًا: ضبط نص الكتاب ومقابلته علىٰ كتاب مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة، ط. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

ثالثًا: عزو الآيات القرآنية إلىٰ مواضعها من المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

رابعًا: عزو الأحاديث إلىٰ مصادرها من كتب السنة، فالأحاديث التي في «الصحيحين» العزو إليهما يكفي في الدلالة علىٰ صحة الحديث، وما كان في غيرهما قمنا بعزوه إلىٰ مصادره، واستعنا بتحقيقات العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الحكم علىٰ الأحاديث التي وجدنا له أحكامًا عليها.

وختامًا: فهذا جهد المقل، فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من زلل أو خطإ فمن عند أنفسنا ومن الشيطان.

فنسأل الله أن يغفر لنا ويتجاوز عن زلاتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ونسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.



الرسالة الأولى
عقيدة أهل السنة والجماعة[1]

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٨/ ٧-٤١).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله، وخليله، وأمينه علىٰ وحيه، نبينا، وإمامنا، وسيدنا محمد بن عبد الله وعلىٰ آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدىٰ بهداه، إلىٰ يوم الدين.

❑ **أما بعد:**

* فإن الله جل وعلا خلق الخلق لعبادته، وأمرهم بها سبحانه وتعالى، فقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]. فخلقهم للعبادة وتكفل بأرزاقهم، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

* وأرسل الرسل جميعًا لهذا الأمر العظيم؛ ليدعوا الناس إلىٰ عبادة الله، ويأمروهم بها، ويوضحوها لهم، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، هكذا جميع الرسل، بعثوا لهذا الأمر العظيم؛ ليأمروا الناس، أن يعبدوا الله وحده دون كل ما سواه.

ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

* وهذه العبادة التي خُلقوا لها، وأرسلت الرسل بها، أمرهم بها سبحانه في

مواضع من كتابه العظيم، كما في قوله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١].

وقال في سورة النساء: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال في سورة بني إسرائيل: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال في سورة البينة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ [البينة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

فهذه العبادة التي خُلقوا لها، قد أُمروا بها، وبُيِّنت لهم في كتاب الله، وفي سُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، وبعث الله بها الرسل جميعًا..

وخاتمهم، وأفضلهم، وإمامهم، نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، بُعث لذلك، بعثه الله يدعو الناس إلىٰ عبادة الله وتوحيده والإخلاص له، ومكث في مكة بضع عشرة سنة، ثلاث عشرة سنة، يدعو الناس إلىٰ توحيد الله وطاعة الله، يأمرهم أن يعبدوا الله وحده، وأن يخلعوا عبادة ما سواه، من الأصنام والأوثان والملائكة والأنبياء وغير ذلك، يقول: «**يا قوم، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»(١)، فأجابه الأقل، وأنكر دعوته الأكثرون.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٢)، وذكره العلامة الألباني في «صحيح السيرة» (١/ ١٤٣).

ولم يزل صابرًا داعيًا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، حتىٰ أمره الله بالهجرة إلىٰ المدينة بعدما اشتد أذىٰ المشركين له وللذين انقادوا لما جاء به عليه الصلاة والسلام، فهاجر إلىٰ المدينة ومكث بها عشر سنين يدعو إلىٰ الله، ويُعلِّم الناس شريعة الله، وأنزل الله عليه القرآن العظيم، بعضه في مكة، وبعضه في المدينة، وبينه للناس وأرشد الناس إلىٰ ما دل عليه القرآن، وبين لهم ما أوحىٰ الله إليه في ذلك، فإن الله أعطاه وحيين: القرآن، والوحي الثاني: السنة.

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ يعني محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ١-٤]، فالله أوحىٰ إليه القرآن وأوحىٰ إليه السنة، وهي أحاديثه عليه الصلاة والسلام، وما بينه للأُمة من شرع الله.

فتلقىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عنه هذا الدين العظيم، دين الإسلام، ونقلوه إلينا غضًّا طريًّا، وهكذا نقله التابعون عن الصحابة وهكذا أتباع التابعين.

ولم يزل أهل العلم ينقلون هذا العلم، من جيل إلىٰ جيل، ومن قرن إلىٰ قرن، ويكتبون فيه الكتب الكثيرة، ويوضحون للناس دعوة نبيهم عليه الصلاة والسلام، وما بينه الكتاب العظيم القرآن من دين الله.

* فعقيدة المسلمين التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة، هي ما بين الله لعباده في كتابه العظيم، وبينه رسوله عليه الصلاة والسلام، وتلقاه الصحابة عن نبيهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبلغوه للناس، هو دين الله وهو توحيد الله وطاعته، واتباع رسوله وترك ما نهىٰ عنه والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله، هذا هو دين الله، وهذا هو العقيدة التي درج

عليها سلف الأمة، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، الإيمان بالله ورسوله، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله، والعمل بذلك قولًا وعملًا وعقيدة، عن محبة وانقياد وإخلاص وموالاة ومعاداة، فالإيمان بالله ورسوله: هو الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله، من الطاعات القولية والفعلية.

علىٰ المؤمن أن يتلقىٰ ذلك عن كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، كما تلقاه أصحاب النبي ﷺ، ومَن بعده مِن السلف الصالح وقد بينه ﷺ في أحاديث كثيرة، شرح للناس دين الإسلام والإيمان والإحسان، وأوضح للناس أوامر الله ونواهيه قولًا وعملًا.

فعقيدة أهل السنة والجماعة: هي العمل بكل ما أخبر الله به ورسوله، وبكل ما أمر الله به ورسوله، عن إيمان صادق وإخلاص لله، ومحبة ورغبة ورهبة، فهم يؤدون أوامر الله، وينتهون عن نواهي الله، ويقفون عند حدود الله عن إيمان بالله ورسوله، وعن إخلاص وصدق، وعن رغبة ورهبة، لا رياء ولا سمعة ولا نفاقًا، ولكن عن إيمان وعن صدق.

* وهذه العبادة التي خُلقوا لها سماها الله إسلامًا، وسماها إيمانًا وسماها تقوىٰ، وسماها هدًىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣﴾ [النجم: ٢٣].

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥﴾ [الحجر: ٤٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فهي إيمان وإسلام وهدىٰ، وتقوىٰ وبر وصلاح وإصلاح، هذه العقيدة التي درج عليها أهل السنة والجماعة، وهي دين الله، الذي بعث به رسوله ﷺ، وبعث به جميع المرسلين، قول وعمل وعقيدة، قول باللسان وعمل بالجوارح، وعقيدة بالقلب عن محبة، وعن إخلاص، وعن صدق، وعن رغبة ورهبة.

وجميع ما جاءت به الكتب والرسل يندرج تحت الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، كما قال جل وعلا: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآية.

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء: ١٣٦] الآية.

* **فدين الإسلام وعقيدة أهل السنة والجماعة:** هي الإيمان بالله قولًا وعملًا وعقيدة، ويدخل في الإيمان ما بيَّنه الرسول ﷺ لجبرائيل لما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، بيَّن له أركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، والإحسان قال: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**»، قال: ما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر**

خيره وشره»، قال: ما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1]، هذا هو دين الله، عند التفصيل إسلام وإيمان وإحسان.

فالإسلام: ما أمر الله به ورسوله من الأعمال الظاهرة، تسمىٰ إسلامًا - يعني: خضوعًا لله -، الإسلام: الانقياد والذل لله، سمىٰ الله دينه إسلامًا؛ لأن المسلم ينقاد لله ويذل له، ويؤدي حقه عن خضوع وذل وانكسار، وهذا هو العبادة، سُمِّي عبادة لهذا، سمي الدين كله عبادة؛ لأنه يؤدىٰ بالذل والانكسار والخضوع لله ﷻ، فالعبادة التي خُلقنا لها هي: الإسلام، وهي دين الله وهي الإيمان والهدىٰ، فقوله ﷺ: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله...**» إلخ، داخل في قوله أن تؤمن بالله.

فالعقيدة التي تلقاها أهل السنة والجماعة، عن أصحاب النبي ﷺ، وتلقاها أصحاب النبي عن رسول الله، هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

* هذه الستة الأصول هي أصول الدين كله، يدخل في الإيمان بالله: الإيمان بكل ما أمر الله به، وشرع من الإسلام من توحيد الله والإخلاص له، والشهادة بأنه لا إله إلا الله؛ أي: لا معبود حق إلا الله، والشهادة بأن محمدًا عبد الله ورسوله، عليه الصلاة والسلام، ويدخل في ذلك الصلاة والزكاة والصيام والحج، كله داخل في الإيمان بالله، والإيمان بجميع المرسلين، كما نص عليه جل وعلا في كتابه العظيم، ونص عليه الرسول ﷺ، فالإيمان بالله يشمل ذلك كله، الإيمان بالله يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله، من صلاة وزكاة وصوم وحجٍّ وجهاد، وأمر بالمعروف ونهي عن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٠٢).

منكر إلىٰ غير ذلك، من كل ما أمر به الله ورسوله، كله داخل في الإيمان بالله.

* **والإيمان بالملائكة معناه:** الإيمان بكل الملائكة الذين خلقهم الله، يؤمن العبد بأن لله ملائكة خلقهم في طاعته وعبادته، وتنفيذ أوامره ﷻ، نؤمن بهم جميعًا، وأنهم خُلقوا من النور، خلقهم الله من النور، وأنهم في طاعته واتباع أمره وتنفيذ أوامره ﷻ، لا يحصي عددهم إلا الله جل وعلا، نؤمن بهم إجمالًا وتفصيلًا، نؤمن بالملائكة إجمالًا، وأن لله ملائكة في طاعته واتباع أوامره وتنفيذها، ومنهم من فصَّله الله لنا، وبين لنا أسماءهم كجبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك خازن النار، هؤلاء بيَّنهم ﷻ، وهكذا ملك الموت، ومن سماه الله من غيرهم، نؤمن بهم علىٰ سبيل التفصيل.

* **وهكذا الكتب نؤمن بها،** كل ذلك داخل في الإيمان بالله، داخل في الإسلام، الكتب التي أنزلها الله علىٰ الرسل، فإن الله جل وعلا أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥].

فالله أرسلهم وأرسل معهم الكتب لبيان الحق للناس، فنؤمن بكتب الله جميعًا علىٰ الإجمال والتفصيل، نؤمن بجميع الكتب المنزلة علىٰ الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومنها التوراة والإنجيل والزبور والقرآن الذي هو أعظمها المنزل علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام، صحف موسىٰ وصحف إبراهيم، نؤمن بكل الكتب التي أنزلها الله علىٰ رسله، وأفضلها وخاتمها القرآن الكريم.

* **وهكذا نؤمن بجميع الرسل** من أولهم إلىٰ آخرهم، نؤمن بهم جميعًا وأنهم

بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة عليهم الصلاة والسلام، ومنهم آدم عليه الصلاة والسلام الرسول النبي المكلَّم، فهو رسول الله إلىٰ ذريته، يدعوهم إلىٰ توحيد الله، ويأمرهم بأمر الله، وينهاهم عن نهي الله.

ثم بعث الله نوحًا عليه الصلاة والسلام، بعدما وقع الشرك في بني آدم، أرسل الله نوحًا، فنوح هو أول الرسل إلىٰ أهل الأرض، بعدما وقع الشرك فيهم، بعث الله نوحًا عليه الصلاة والسلام، فبلَّغ الرسالة، وأدَّىٰ الأمانة، وصبر علىٰ قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وهو فيهم يدعوهم إلىٰ الله، فلما استكبروا واستمروا في العناد أهلكهم الله بالغرق، وأنجاه هو وأصحاب السفينة عليه الصلاة والسلام.

وهكذا من بعده من الرسل كهود وصالح وشعيب ولوط وموسىٰ، وهارون وغيرهم، كلهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة إلىٰ أن ختمهم الله بأفضلهم محمد عليه الصلاة والسلام، نؤمن بذلك.

من عقيدة أهل السنة والجماعة، من الإيمان بالله ورسوله أن نؤمن بهؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنهم أدوا الرسالة، بلغوها وأدوا أمانة الله وصبروا، منهم من قُتل، ومنهم من سلم، وهم متفاوتون، منهم من تبعه جمع غفير، ومنهم من لم يتبعه إلا قليل، حتىٰ قال ﷺ في حديث ابن عباس، منهم من لم يتبعه إلا الرهيط، الثلاثة والأربعة والخمسة، ومنهم من لم يتبعه إلا الرجل والرجلان، ومن الرسل من لم يتبعه أحد، بل خالفه القوم كلهم والعياذ بالله.

* **وهكذا نؤمن باليوم الآخر**، وهو الأصل الخامس، من أصول الإيمان، نؤمن باليوم الآخر، فأهل السنة والجماعة يؤمنون باليوم الآخر وهو يوم القيامة، سمي

الآخر؛ لأنه دبر الدنيا، الدنيا ثم يوم القيامة، حين تقوم الساعة تذهب الدنيا، والدنيا هي اليوم الأول وتقوم الساعة وهي اليوم الآخر، ويُجازىٰ الناس بأعمالهم في هذا اليوم الآخر، وفيه تُنصب الموازين ويحاسب الناس ويوفَّون أعمالهم ويعطىٰ هذا كتابه بيمينه، وهذا كتابه بشماله، فمن أُعطي كتابه بيمينه فهو الرابح السعيد وله الجنة والكرامة، ومن أعطي كتابه بشماله فهو الهالك وله النار يوم القيامة.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به ورسوله عن الآخرة، عن يوم القيامة والجنة والنار، والجزاء والحساب وغير ذلك، كله داخل في الإيمان باليوم الآخر.

* **والأصل السادس: الإيمان بالقدر**: أن الله علم الأشياء قبل أن تكون، علمها سبحانه وقدرها، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فعلم أعمال العباد وما يقع في هذه الدار، وما يقع في الآخرة، كل ذلك علمه سبحانه وأحصاه وكتبه، فالمسلمون تلقوا عن نبيهم ﷺ الإيمان بيوم الآخرة كما دل عليه القرآن: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فالمسلمون يتلقون إيمانهم عن رسولهم ﷺ، وعن كتاب ربهم بهذه الأصول الستة، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

فتؤمن بأن الله علم الأشياء كلها، وأنه أحصاها وكتبها وأنه سبحانه هو القادر علىٰ كل شيء، العالم بأحوال عباده وأن العباد لن يخرجوا عن قدر الله، وما سبق في

علمه ﷺ، ولما أخبر النبي ﷺ الصحابة بذلك، قالوا: يا رسول الله، إذا كان الله قد قدر كل شيء، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «**اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة، فييسروا لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة، فييسروا لعمل أهل الشقاوة**»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [القارعة: ٥-١٠][1].

* **ومن الإيمان بالله أيضًا**: الإيمان بأسمائه وصفاته، كما أنه داخل في ذلك الإيمان بشرائعه، من صلاة وزكاة وصوم، وحج وجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك، كله داخل في الإيمان بالله، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح، لما قال رجل: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك؟ قال: «**قل آمنت بالله، ثم استقم**»[2].

كل شيء داخل في الإيمان بالله، كل ما أمر الله به ورسوله داخل في الإيمان، وهكذا قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

* فمن آمن بالله ربًّا وإلهًا معبودًا بالحق، واستقام على دينه، فهذا هو دين الله، وهذا هو الإسلام، وهذا هو الإيمان، وهذا هو الهدى، وهذا هو العبادة التي خُلقنا لها، الإيمان بالله، ثم الاستقامة؛ الإيمان بالله ربًّا وإلهًا معبودًا بالحق والإيمان، بكل ما شرع من الأوامر والنواهي، والعمل بذلك. هذا كله العبادة، وهذا هو الدين، وهذا

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٦٩٠٣).
(٢) أخرجه مسلم (١٦٨).

هو الإيمان بالله، وهذا هو الإسلام وهذا هو الهدىٰ، وهذا هو التقوىٰ.

ومن الإيمان بالله: الإيمان بأسمائه وصفاته، كله داخل في الإيمان بالله، الإيمان بأنه سبحانه حكيم عليم، رحمن رحيم، علىٰ كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وأنه سبحانه بيده تصريف الأمور، وهو القادر علىٰ كل شيء وإليه مصير العباد، فالإيمان بكل أسمائه وصفاته كل ذلك داخل في الإيمان بالله.

فعلىٰ المكلف أن يؤمن بالله ربًّا وإلهًا معبودًا بالحق، وعليه أن ينقاد لشريعته فعلًا للمأمور وتركًا للمحظور، هكذا الإسلام وهكذا الإيمان، إيمان بالله يتضمن أداء فرائضه، وترك محارمه والوقوف عند حدوده، والإيمان بأسمائه وصفاته، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله مما كان وما يكون.

* وصفاته وأسماؤه توقيفية، تؤخذ من كتابه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فالمؤمن يؤمن بذلك، يؤمن بكل ما دل عليه كتاب الله من أسمائه وصفاته، وبكل ما أخبر به النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة من أسماء الله وصفاته، كله داخل في الإيمان بالله، مع الإيمان بأنه سبحانه ليس كمثله شيء، له الكمال المطلق في علمه وتوحيده وفي قدرته وفي حكمته، في كل أسمائه وصفاته، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

ويقول سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤].

* فله الكمال المطلق في علمه وقدرته وحياته، وفي كل شيء ﷻ، لا شريك

له، ولا شبيه له، ولا كفو له.

* وأسماؤه وصفاته جاءت مفصلة ومجملة، فصلها في الإثبات: إن الله عزيز حكيم، غفور رحيم، سميع بصير، عليم حكيم، على كل شيء قدير، مفصلة في إثباتها، ومجملة في نفيها، جمع سبحانه بين النفي والإثبات، نفي مجمل وإثبات مفصل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤].

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]. كل هذا نفي مجمل.

وفيه نفي مفصل، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣]، ولكنه قليل، الغالب على النفي: الإجمال، نفي النقائص والعيوب، والمشابهة لخلقه.

وفصل صفاته الثابتة في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٦١﴾ [الحج: ٦١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٨﴾ [التوبة: ٢٨].

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

إلى غير هذا مما بيَّن سبحانه من أسمائه وصفاته جل وعلا.

* فعلى العبد أن يؤمن بذلك، وبكل ما أخبر الله به ورسوله من أسماء الله وصفاته، على الوجه الذي يليق به سبحانه، لا يشابه خلقه في شيء من صفاته، نؤمن

بذلك على الوجه الذي يليق به سبحانه، ليس له مثيل ولا نظير ولا كفو ولا ند، جل وعلا، فعلمه كامل ليس كعلمنا، قدرته كاملة ليست كقدرتنا، بصره كامل ليس كبصرنا، وهكذا بقية صفاته ﷻ، وهكذا يسمع ويبصر ليس كسمعنا وبصرنا، بل هو أكمل وأعظم.

وهكذا موصوف بأن له يدًا، بل يداه مبسوطتان، سميع بصير، وله قدم كما في الحديث الصحيح: «**لا تزال جهنم يُلقىٰ فيها وهي تقول هل من مزيد؟ حتىٰ يضع الجبار فيها رجله** - وفي رواية - **قدمه، وينزوي بعضها إلىٰ بعض، ثم تقول: قط قط** - أي: حسبي حسبي -»[1]. لا مثيل له في سمعه ولا في بصره، ولا في يده، ولا في وجهه ولا في قدمه ولا في غير ذلك، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وهذه الصفات التي وصف بها نفسه، نصفه بها، ونقول كما قال: له وجه وله يدان، وله سمع وله بصر وله قدم، وله أصابع كلها تليق به، لا يشابه خلقه في شيء من صفاته جل وعلا، جاء في الحديث الصحيح: «**إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**»[2].

وعرفت أيها المسلم: أن الإيمان بالكتب، يشمل الإيمان بجميع الكتب المفصلة والمجملة، نؤمن بكتب الله المنزلة علىٰ رسله وأنبيائه، وما سمىٰ الله نسميه من التوراة والإنجيل، والزبور وصحف إبراهيم وصحف موسىٰ، وما سمىٰ الله

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٧٣٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (٦٩٢١).

نسميه وأعظمها القرآن وهو خاتمها.

* وهكذا الملائكة نؤمن بهم إجمالًا وتفصيلًا، من سماه الله سميناه: كجبرائيل وميكائيل، ومن لم يسمه الله نقول: لله ملائكة، لا يحصيهم إلا الله جل وعلا.

يقول النبي ﷺ في شأنهم: في البيت المعمور الذي فوق السماء السابعة، علىٰ وزان الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه مرة أخرىٰ، كل يوم سبعون ألف ملك للتعبد، ثم لا يعودون إليه، فمن يحصيهم إلا الله جل وعلا.

وله ملائكة يتعاقبون فينا، يشهدون معنا الصلوات، فإذا صلىٰ الناس الفجر عرج الذين باتوا فينا، وبعد العصر يعرج الذين فينا من النهار، وينزل أهل الليل يجتمع في صلاة الصبح ملائكة يتعاقبون فينا، يشهدون علىٰ أعمال العباد وما شاهدوه منها، يسألهم ربهم وهو أعلم، إذا عرجوا إليه: كيف تركتم عبادي، فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون.

ومعك أنت يا عبد الله، كل واحد منا معه ملكان يكتبان أعماله، هذا يكتب حسناته وهذا يكتب سيئاته. ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

فجدير بك يا عبد الله أن تحرص علىٰ إملاء الخير علىٰ هؤلاء الملائكة، أملِ الخير، أملِ عليهم ما ينفعك ويرضي الله عنك، من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، والدعوة إلىٰ الله وتعليم الخير والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إلىٰ غير هذا من وجوه الخير وهكذا العمل، فهم يكتبون كل شيء.

* وعلينا أن نؤمن باليوم الآخر، علينا جميعًا علىٰ جميع المكلفين من الجن

والإنس، الإيمان باليوم الآخر، يدخل فيه كل ما أخبر الله به عن يوم القيامة، كله داخل في الإيمان باليوم الآخر، الجنة والنار والحساب والجزاء، توزيع الكتب علىٰ الناس، والمرور علىٰ الصراط يوم القيامة، مرور المؤمن علىٰ الصراط إلىٰ الجنة، إلىٰ غير هذا من كل ما فرضه الله ورسوله في اليوم الآخر.

* علينا أن نؤمن بذلك وأن الله يبعث عباده بعد مماتهم في آخر الزمان عند قيام الساعة، يرسل الله ريحًا طيبة تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، فلا يبقىٰ إلا الأشرار في خفة الطير وأحلام السباع، يأتيهم الشيطان ويزين لهم الشرك بالله وعبادة غير الله، فيعبدون غير الله وتمتلئ الأرض من شركهم وكفرهم، وضلالهم، وعليهم تقوم الساعة، نسأل الله العافية.

فالله جل وعلا يحكم بين عباده يوم القيامة، ويجازيهم بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

كما قال جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

وقال جل وعلا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

ويقول سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فجميع أعمال العباد يوفَّون إياها إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

تنصب الموازين يوم القيامة، وتوزن فيها أعمال العباد، فهذا يثقل ميزانه، وهذا يخف ميزانه، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦-١١]، من ثقلت موازينه أُعطي كتابه بيمينه، ومن خفت موازينه أُعطي كتابه بشماله، والعصاة أمرهم إلىٰ الله، الذين ماتوا علىٰ المعاصي والسيئات، أمرهم إلىٰ الله، من شاء سبحانه عفا عنه، وأدخله الجنة وصار من أهل اليمين، من أهل النجاة والسعادة، ومن شاء سبحانه أدخله النار بذنوبه ومعاصيه، ثم بعد التطهير والتمحيص يخرجه الله من النار، ويلتحق بإخوانه في الجنة.

* وأهل الجنة فيها منعمون أبد الآباد، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون، بل في نعيم دائم وخير دائم، وهذا الطعام والشراب جشأ ورشح، لا بول ولا غائط ولا مخاط ولا بصاق.

* وأهل النار في عذاب وبلاء، أبد الآباد، نسأل الله العافية، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧].

﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥].

هذه نهاية الناس، هذه النهاية.

فجدير بالعاقل أن تكون هذه النهاية علىٰ باله وألا يغفلها، فلا بد منها، ومن مات فقد قامت قيامته، فليحذر العبد أن يغفل، وأن يجازف في الأمور، فيندم غاية

الندامة، لِيُعِدَّ لهذا اليوم عُدَّتَهُ، وليحرص قبل أن يهجم عليه الأجل، على العدة الصالحة، على الزاد الصالح؛ من طاعة الله ورسوله والقيام بحقه والاستقامة على دينه، وذلك بفعل أوامر الله وترك نواهيه.

* هذه العدة الصالحة، أن تستقيم على دين الله وأن توحد ربك، وتخصه بالعبادة، وأن تؤدي فرائضه من صلاة وغيرها، وأن تنتهي عن نواهيه، وأن تقف عند حدوده ترجو ثوابه وتخشى عقابه، هذه العدة الصحيحة، هذه العدة التي أنت مأمور بها ومخلوق لها، أن تعبد ربك وحده، تشهد أنه لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا الله، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وتؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، وتؤدي فرائض الله التي فرضها عليك بإخلاص له سبحانه، ورغبة فيما عنده ومحبة، وتنتهي عن نواهي الله، عن إيمان وصدق وإخلاص، وتقف عند حدود الله مؤمنًا بالله ورسله، مؤمنًا بأن الله قدَّر الأقدار، وشاء ما شاء ﷻ، فعليك أن تؤمن بالقدر خيره وشره، أن تعلم أن الله علم الأشياء وكتبها، وأنه الخالق لكل شيء، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﷻ.

❑ ومن الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان أيضًا بأن الله يُرى يوم القيامة، إذا جاء لفصل العباد، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥].

والمؤمنون يرونه ويكشف لهم عن ساقه وينظرون إليه ويكلمهم ويحييهم ﷻ.

ثم في الجنة يرونه سبحانه، يراه المؤمن في الجنة، كما يشاء ﷻ، وما أُعطوا في

الجنة شيئًا أحب إليهم من النظر إلىٰ وجهه، كما قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الحسنىٰ: الجنة، والزيادة النظر إلىٰ وجه الله، والمسلمون إذا انتهوا من الموقف يمرون علىٰ الصراط، منصوب بين الجنة والنار، يمر عليه المؤمنون، ويمنع منه الكافرون، فاحرص علىٰ العدة التي تيسر في مرورك، من الإيمان بالله والتقوىٰ.

وعلىٰ الصراط كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، منهم من يخطف وينجو، ومنهم من يخطف ويسقط بسبب معاصيه، والكفار لا يمرون عليه بل يساقون إلىٰ النار، ويحشرون إليها كما ضيعوا أمر الله، وأشركوا به وكفروا به، يحشرون إليها.

❑ ومن الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان بأن المؤمن مخلد في الجنة أبد الآباد، ونعيمهم فيها متفاوت، قصورهم ونعيمهم وزوجاتهم مختلفون في ذلك، منهم من يعطىٰ زوجات كثيرات، ومنهم مَن هو أقل من ذلك.

* ولكل واحد زوجتان من الحور العين، غير زوجاته من الدنيا وغير ما يعطىٰ من الزوجات الأخريات من الحور العين، كل واحد لا ينقص عن زوجتين من الحور العين، مع ما له من زوجات الدنيا، فالنساء في الجنة أكثر، وفي النار أكثر، في الجنة أكثر ومعهم الحور العين. وفي النار أكثر لما يحصل منهن من الإضاعة لأمر الله، والمعاصي الكثيرة التي من أسبابها صرن أكثر أهل النار، قال الرسول ﷺ: «**رأيتكن أكثر أهل النار**»، قالت له امرأة: لِمَ يا رسول الله؟ قال: «**لأنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**» يعني: تكثرن السب والشتم، وتكفرن الأزواج والإحسان، «**لو أحسن الزوج**

إلىٰ إحداكن الدهر، ثم رأت منه شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط»(١). الأغلب إنكار الجميل عند أقل شيء من الزوج؛ فلهذا كن أكثر أهل النار، بسبب المعاصي والشرور وكفران العشير، وعدم الإيمان بالله ورسوله.

وهن أكثر أهل الجنة لما معهن من الحور العين، فالمؤمنات في الجنة مع أزواجهم المؤمنين، ولأزواجهم مزيد من الحور العين، لكل واحد زوجتان من الحور العين، وقد يزاد بعضهم زوجات كثيرات علىٰ حسب أعمالهم الصالحة، لكن أقلهم من له زوجتان من الحور العين غير نصيبه من زوجات الدنيا.

❑ ومن أخبار اليوم الآخر:

أن أهل الجنة يتزاورون فيها، وهم في نعيم دائم، لا يتغوطون ولا يبولون ولا يتفلون، قلوبهم علىٰ قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، يسبحون الله بكرة وعشية يتنعمون بالتسبيح والتهليل، والتحميد والتكبير وذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وهم مع تزاوُرهم واختلاف منازلهم في الجنة، لا اختلاف بينهم ولا تباغض.

كل واحد يرىٰ أنه في نعمة ليس فيها غيره من النعيم العظيم، ليس يعتليه حزن ولا مضايقة، بل في نعيم دائم وسرور دائم، مع لقائه لإخوانه في الأوقات التي يشاؤها الله.

ولهم مواعيد مع ربهم يزورونه، ويسلمون عليه وينظرون إلىٰ وجهه الكريم، علىٰ حسب مراتبهم، كل هذا من الإيمان باليوم الآخر، ولهم يوم المزيد، يوم يجمع الله فيه أهل الجنة، ويزورونه وينظرون إليه، ويسلم عليهم يحادثهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩)، ومسلم (٢١٤٧).

❑ **ومن الإيمان باليوم الآخر:**

الإيمان بأن جميع الخلائق يوفون أجورهم في ذلك اليوم، ما أحد يضيع حقه، كلٌّ يعطىٰ حقه، من مسلم وكافر وعاصٍ ولو مثقال الذرة، ما يضيع ولو مثاقيل الذر. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

فالواجب علىٰ كل مكلف من الرجال والنساء: أن يعد العدة لهذا اليوم، وأن يكون علىٰ باله، علىٰ الرجل أن يعد العدة وأن يتقي الله، وأن يستقيم علىٰ دين الله، وأن يحافظ علىٰ ما أوجب الله عليه من صلاة وغيرها، وعلىٰ المرأة كذلك أن تؤدي حق الله، وأن تستقيم علىٰ دين الله، وأن تتفقه في دين الله، وأن تؤدي حق زوجها في المعروف، وأن تحذر كفر العشير، وإيذاء الزوج بغير حق، وعلىٰ الزوج أن يتقي الله في أهله وألا يظلمهم، قال تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، فعلىٰ الزوج أن يتقي الله، وأن يعاشر بالمعروف وعلىٰ الزوجة أن تتقي الله، وأن تسمع وتطيع زوجها في المعروف، وعليهما أن يتعاونا علىٰ البر والتقوىٰ، علىٰ طاعة الله ورسوله، حتىٰ تكون زوجته في الجنة، وحتىٰ يكون زوجها في الجنة.

❑ **ومن الإيمان باليوم الآخر:**

الإيمان بالحوض المورود للنبي ﷺ حوض يوم القيامة، يرده الناس، حوض عظيم، طوله شهر وعرضه شهر، وآنيته عدد نجوم السماء، آنيته كثيرة يَرِدُهُ المؤمنون أتباع النبي ﷺ يردونه ويشربون منه يوم القيامة، ويذاد عنه الكافرون الذين لم يؤمنوا بالرسول ﷺ، أو ارتدوا بعد وفاته، يذادون عنه ويحرمون منه، كما يحرمون من دخول الجنة، ويرده المؤمنون ويشربون منه، من هذا الحوض المورود.

كل هذا من أخبار يوم القيامة، وهو يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة، يوم طويل عظيم، لكن لا ينتصف إلا وقد صار أهل الجنة إلىٰ منازلهم، قال تعالىٰ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٤] عند نصف النهار قد وصلوا إلىٰ منازلهم، وتبوءوا منازلهم، وتنعموا فيها، وما ذلك إلا لكثرة الخلق، وطول الحساب، والله جل وعلا هو الحكيم العليم، الذي يُجازيهم بأعمالهم: خيرها وشرها، هو الحكم العدل ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ﴾ [النساء: ٤٠].

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

* فأنت يا عبد الله حاسب نفسك، وهكذا أنتِ يا أمة الله حاسبي نفسك، كل يحاسب نفسه، ينظر ماذا قدم وماذا فعل، هل أدىٰ حق الله، هل استقام علىٰ دين الله، هل أدىٰ واجب الله، هل ترك محارم الله، هل وقف عند حدود الله، هل أدىٰ ما عليه لإخوانه، وهكذا الزوج يحاسب نفسه، هل أدىٰ حق زوجته، هل أنصفها، هل أدىٰ حق والديه، هل أدىٰ حق أولاده وقراباته.

وهكذا الزوجة، المرأة تحاسب نفسها، تنظر هل أدت حق زوجها، هل أدت حق والدها وأقاربها، كل ذلك مطلوب، كما أن علىٰ كل منهما أن يؤدي حق الله، وهكذا حق المخلوق أيضًا.

حق الله أعظم وأكبر، ولكن أوجب عليك حقوقًا لغيرك، أوجب عليك حقًّا لوالديك، ولزوجتك ولأولادك ولإخوانك المسلمين، عليك أن تؤديه، وهكذا

المرأة عليها أن تؤدي حق الله الذي عليها لربها، ولزوجها ولقراباتها وللمسلمين.

* ومن الحق على الجميع الدعوة إلى الله، وتعليم الناس للخير، والنصح لله ولعباده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا من حق الله على الجميع، التواصي بالحق والتناصح ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

* من الحق على الجميع التعاون على البر والتقوى، يقول سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

فالواجب على كل إنسان، أن يحاسب نفسه، هل أدى الحق الذي عليه لله ولعباده، ولا شك أنه متى حاسب نفسه وناقشها، وجد التقصير، فعليه أن يكمل، عليه أن يستقيم، وعليه أن يجاهد نفسه لله، حتى يؤدي الحقوق التي لله ولعباده.

* وأهل السنة والجماعة يؤمنون أيضًا بكلام الله، وأنه يكلم أهل الجنة، ويكلم عباده يوم القيامة، ويسمعون كلامه ﷻ، ويسلم على أهل الجنة ويقول: «**هل رضيتم؟ فيقولون: يا ربنا، ما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، ألم تثقل موازيننا، ألم تدخلنا الجنة، ألم تنجنا من النار، قال: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»(١). هذا من فضله وجوده جل وعلا.

وجميع ما يقوله أهل السنة والجماعة، كله موزون بالكتاب والسنة والإجماع، فدين الله مبني على هذه الأصول الثلاثة، على كتاب الله القرآن، وعلى سنة رسوله

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٧٣١٨).

ﷺ، وعلىٰ إجماع سلف الأمة.

* وأهل السنة وأهل الجماعة هم المستقيمون علىٰ دين الله ورسوله، هم التابعون للحق، هم المنقادون لشرع الله، فهم يؤمنون بأن القرآن الكريم كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، ويؤمنون بما جاء عن رسوله ﷺ، وأن أُمة محمد تفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، والفرقة الناجية هم المؤمنون به، وهم أهل السنة والجماعة، وهم المستقيمون علىٰ دينه وعلىٰ اتباع شريعته، هم أهل السنة والجماعة، هم الفرقة الناجية، واثنتان وسبعون متوعَّدون بالنار؛ إما لكفرهم، وإما لبدعهم ومخالفاتهم.

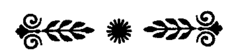
أما أهل السنة والجماعة، فهم الذين استقاموا علىٰ دين الله، قولًا وعملًا وعقيدة، واتبعوا شرع الله ونصحوا لله ولعباده، وتباعدوا عن مساخطه، فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة، هم أهل الحق، هم الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم - وأتباعهم بإحسان.

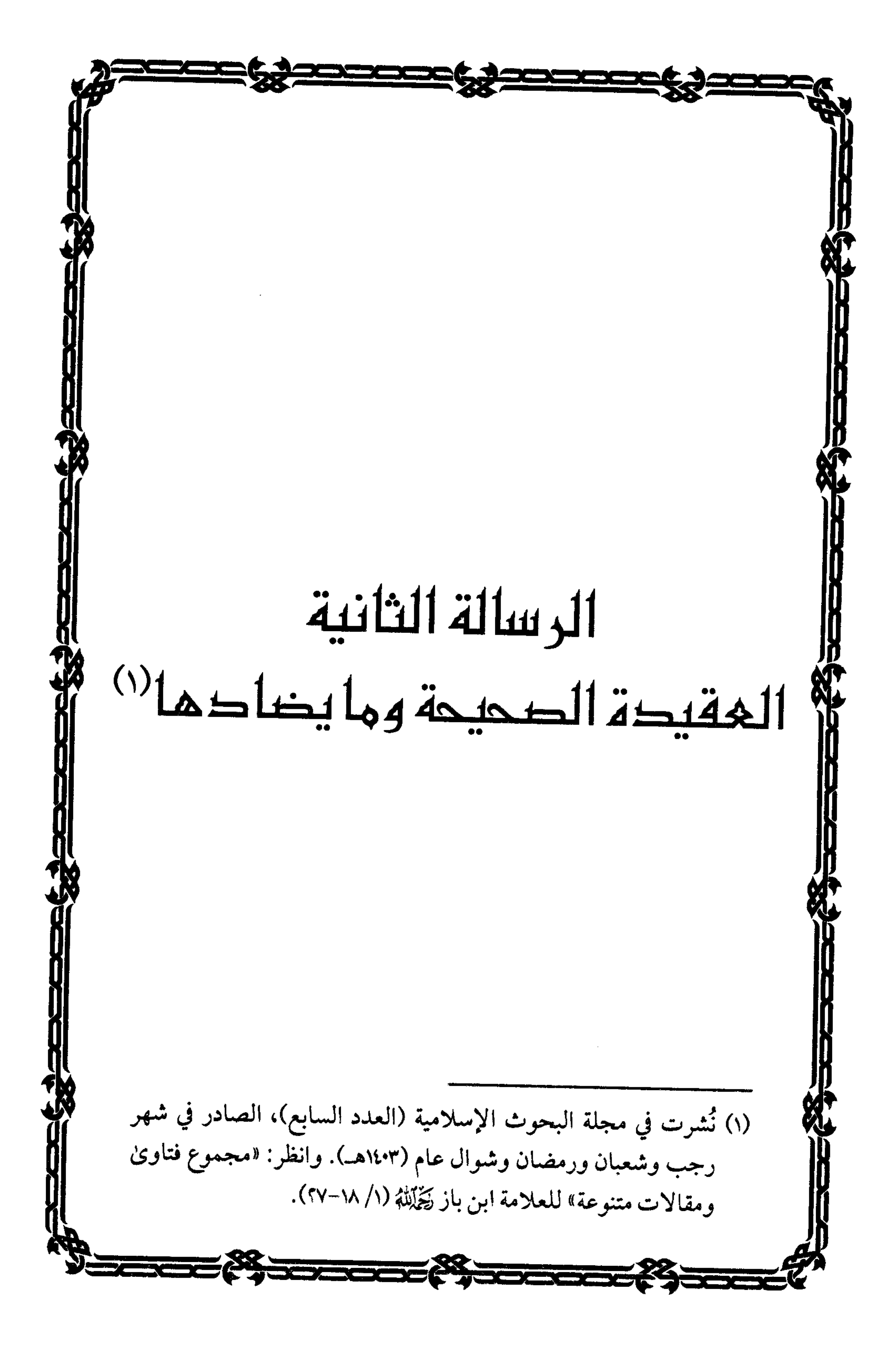
* نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، وأن يعيذنا جميعًا من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

كما نسأله سبحانه أن ينصر دينه ويُعلي كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يولي عليهم خيارهم ويصلح قادتهم.

كما نسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا لكل خير، وأن يعينهم علىٰ كل خير، وأن يصلح لهم البطانة، وأن يجعلهم من الهداة المهتدين، وأن يعيذهم من دعاة الباطل ونزغات الشيطان، ومن كل ما يخالف أمره سبحانه، وأمر رسوله عليه الصلاة

والسلام، وأن ينصر بهم الحق، ويخذل بهم الباطل، إنه جل وعلا الجواد الكريم.
وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله، نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.





الرسالة الثانية

العقيدة الصحيحة وما يضادها[1]

---

(١) نُشرت في مجلة البحوث الإسلامية (العدد السابع)، الصادر في شهر رجب وشعبان ورمضان وشوال عام (١٤٠٣هـ). وانظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رحمه الله (١/ ١٨-٢٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

❑ **أما بعد:**

فلما كانت العقيدة الصحيحة هي أصل دين الإسلام، وأساس الملة، رأيت أن تكون هي موضوع المحاضرة، ومعلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، فإن كانت العقيدة غير صحيحة؛ بَطلَ ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، وقد دل كتاب الله المبين، وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، علىٰ أن العقيدة الصحيحة تتلخص في: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي نزل بها كتاب الله العزيز، وبعث الله بها رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام، ويتفرع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب، وجميع ما أخبر الله به ورسوله ﷺ. وأدلة هذه الأصول الستة في الكتاب والسنة كثيرة جدًّا، فمن ذلك قول الله سبحانه ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ

ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآية، وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

أما الأحاديث الصحيحة الدالة علىٰ هذه الأصول فكثيرة جدًّا، منها الحديث الصحيح المشهور الذي رواه مسلم في صحيحه، من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال له: «**الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**». الحديث، وأخرجه الشيخان مع اختلاف يسير من حديث أبي هريرة، وهذه الأصول الستة يتفرع عنها جميع ما يجب علىٰ المسلم اعتقاده في حق الله سبحانه، وفي أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب.

فمن الإيمان بالله سبحانه، الإيمان بأنه الإله الحق، المستحق للعبادة، دون كل ما سواه؛ لكونه خالق العباد، والمحسن إليهم، والقائم بأرزاقهم، والعالم بسرهم وعلانيتهم، والقادر علىٰ إثابة مطيعهم، وعقاب عاصيهم، ولهذه العبادة خلق الله الثقلين وأمرهم بها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾

[الذاريات: ٥٦-٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، وقد أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب؛ لبيان هذا الحق والدعوة إليه، والتحذير مما يضاده، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٥]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [هود:١،٢]. وحقيقة هذه العبادة: هي إفراد الله سبحانه بجميع ما تعبد العباد؛ به من دعاء، وخوف، ورجاء، وصلاة وصوم، وذبح، ونذر، وغير ذلك من أنواع العبادة، علىٰ وجه الخضوع له، والرغبة والرهبة، مع كمال الحب له سبحانه، والذل لعظمته، وغالب القرآن الكريم نزل في هذا الأصل العظيم، كقوله سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢،٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [غافر:١٤]، وفي الصحيحين عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»(١).

ومن الإيمان بالله أيضًا الإيمان بجميع ما أوجبه علىٰ عباده، وفرضه عليهم من أركان الإسلام الخمسة الظاهرة وهي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٦٧)، ومسلم (١٥٢).

إليه سبيلًا، وغير ذلك من الفرائض التي جاء بها الشرع المطهر، وأهم هذه الأركان وأعظمها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي: إخلاص العبادة لله وحده ونفيها عما سواه، وهذا هو معنىٰ لا إله إلا الله، فإن معناها: لا معبود حق إلا الله، فكل ما عُبد من دون الله من بشر، أو ملك، أو جني، أو غير ذلك فكله معبود بالباطل، والمعبود بالحق هو الله وحده، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]. وقد سبق بيان أن الله سبحانه خلق الثقلين لهذا الأصل الأصيل وأمرهم به، وأرسل به رسله وأنزل به كتبه، فتأمل ذلك جيدًا، وتدبره كثيرًا؛ ليتضح لك ما وقع فيه أكثر المسلمين من الجهل العظيم بهذا الأصل الأصيل؛ حتىٰ عبدوا مع الله غيره، وصرفوا خالص حقه لسواه، فالله المستعان.

❑ ومن الإيمان بالله سبحانه:

الإيمان بأنه خالق العالم، ومدبر شئونهم، والمتصرف فيهم بعلمه وقدرته، كما يشاء سبحانه، وأنه مالك الدنيا والآخرة، ورب العالمين جميعًا لا خالق غيره، ولا ربَّ سواه، وأنه أرسل الرسل، وأنزل الكتب لإصلاح العباد ودعوتهم إلىٰ ما فيه نجاتهم، وصلاحهم في العاجل والآجل، وأنه سبحانه لا شريك له في جميع ذلك، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر:٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤].

❑ ومن الإيمان بالله أيضًا:

الإيمان بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ الواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن

رسوله الأمين؛ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، بل يجب أن تمر كما جاءت بلا كيف، مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة، التي هي أوصاف لله عَزَّوَجَلَّ يجب وصفه بها علىٰ الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ:١١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل:٧٤]، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وأتباعهم بإحسان، وهي التي نقلها الإمام: أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: (المقالات) عن أصحاب الحديث، وأهل السنة، ونقلها غيره من أهل العلم والإيمان.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سئل الزهري ومكحول عن آيات الصفات، فقالا: أمرُّوها كما جاءت»، وقال الوليد بن مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سئل مالك والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان الثوري رحمهم الله عن الأخبار الواردة في الصفات، فقالوا جميعًا: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف»، وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنا- والتابعون متوافرون- نقول: إن الله سبحانه علىٰ عرشه، ونؤمن بما ورد في السنة من الصفات، ولما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك رحمة الله عليهما عن الاستواء، قال: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق».

ولما سئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ذلك، قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، ثم قال للسائل: ما أراك إلا رجل سوء، وأمر به فأُخرج، ورُوي هذا المعنىٰ عن أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وقال الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه: «نعرف ربنا سبحانه بأنه

فوق سمواته علىٰ عرشه بائن من خلقه»، وكلام الأئمة في هذا الباب كثير جدًّا، لا يمكن نقله في هذه المحاضرة، ومن أراد الوقوف علىٰ كثير من ذلك فليراجع ما كتبه علماء السنة في هذا الباب مثل: كتاب «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد، و«التوحيد» للإمام الجليل محمد ابن خزيمة، وكتاب «السنة» لأبي القاسم اللالكائي الطبري، وكتاب «السنة» لأبي بكر بن أبي عاصم، وجواب شيخ الإسلام ابن تيمية لأهل حماة، وهو جواب عظيم كثير الفائدة، قد أوضح فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدة أهل السنة، ونقل فيه الكثير من كلامهم، والأدلة الشرعية والعقلية علىٰ صحة ما قاله أهل السنة، وبطلان ما قاله خصومهم، وهكذا رسالته الموسومة بـ(التدمرية) قد بسط فيها المقام، وبيَّن فيها عقيدة أهل السنة بأدلتها النقلية والعقلية، والرد علىٰ المخالفين بما يظهر الحق، ويدمغ الباطل لكل من نظر في ذلك من أهل العلم، بقصد صالح ورغبة في معرفة الحق، وكل من خالف أهل السنة فيما اعتقدوا في باب الأسماء والصفات، فإنه يقع ولا بد في مخالفة الأدلة النقلية والعقلية مع التناقض الواضح في كل ما يثبته وينفيه.

أما أهل السنة والجماعة، فأثبتوا لله سبحانه ما أثبته لنفسه في كتابه الكريم، أو أثبته له رسوله محمد ﷺ في سُنته، إثباتًا بلا تمثيل، ونزهوه سبحانه عن مشابهة خلقه تنزيهًا بريئًا من التعطيل، ففازوا بالسلامة من التناقض، وعملوا بالأدلة كلها، وهذه سنة الله سبحانه فيمن تمسك بالحق، الذي بعث به رسله، وبذل وسعه في ذلك، وأخلص لله في طلبه، أن يوفقه للحق ويظهر حُجته، كما قال تعالىٰ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره المشهور عند كلامه علىٰ قول الله

عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. الآية، كلامًا حسنًا في هذا الباب يحسن نقله هاهنا لعظم فائدته، قال رحمه الله ما نصه: «للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح؛ مالك والأوزاعي والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلىٰ أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمة، منهم: نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري، قال: من شبه الله بخلقه كفر؛ ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه، ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالىٰ ما وردت به الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة علىٰ الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفىٰ عن الله تعالىٰ النقائص، فقد سلك سبيل الهدىٰ». انتهىٰ كلام ابن كثير رحمه الله.

❑ وأما الإيمان بالملائكة فيتضمن:

الإيمان بهم إجمالًا وتفصيلًا، فيؤمن المسلم بأن لله ملائكة خلقهم لطاعته، ووصفهم بأنهم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨]، وهم أصناف كثيرة، منهم الموكلون بحمل العرش، ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد، ونؤمن علىٰ سبيل التفصيل بمن سمىٰ الله ورسوله منهم، كجبريل وميكائيل ومالك خازن النار، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وقد جاء ذكرهم في أحاديث صحيحة، وقد ثبت في

الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ، قال: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم**»(١). خرجه مسلم في صحيحه.

❑ وهكذا الإيمان بالكتب:

يجب الإيمان إجمالًا بأن الله سبحانه أنزل كتبًا على أنبيائه ورسله، لبيان حقه والدعوة إليه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] الآية، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] الآية.

ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمى الله منها، كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن، والقرآن هو أفضلها وخاتمها، وهو المهيمن والمصدق لها، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه، وتحكيمه، مع ما صحت به السنة، عن رسول الله ﷺ؛ لأن الله سبحانه بعث رسوله محمدًا ﷺ رسولًا إلى جميع الثقلين، وأنزل عليه هذا القرآن؛ ليحكم به بينهم، وجعله شفاءً لما في الصدور، وتبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥]. وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٦٨٧).

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، وهكذا الرسل يجب الإيمان بهم إجمالًا وتفصيلًا، فنؤمن أن الله سبحانه أرسل إلىٰ عباده رسلًا منهم مبشرين ومنذرين، ودعاة إلىٰ الحق، فمن أجابهم؛ فاز بالسعادة، ومن خالفهم؛ باء بالخيبة والندامة، وخاتمهم وأفضلهم هو نبينا محمد بن عبد الله ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ومن سمىٰ الله منهم، أو ثبت عن رسول الله ﷺ تسميته؛ آمنا به علىٰ سبيل التفصيل والتعيين، كنوح وهود، وصالح، وإبراهيم، وغيرهم صلىٰ الله وسلم عليهم وعلىٰ آلهم وأتباعهم.

❑ وأما الإيمان باليوم الآخر:

فيدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به، ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد، والصراط، والميزان، والحساب، والجزاء، ونشر الصحف بين الناس، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره، ويدخل في ذلك أيضًا الإيمان بالحوض المورود لنبينا محمد ﷺ، والإيمان بالجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه، وتكليمه إياهم، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فيجب الإيمان بذلك كله، وتصديقه علىٰ الوجه الذي بيَّنه الله ورسوله ﷺ.

❑ وأما الإيمان بالقدر فيتضمن الإيمان بأمور أربعة:

أولها: أن الله سبحانه قد علم ما كان وما يكون، وعلم أحوال عباده، وعلم

أرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، وغير ذلك من شئونهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة:١١٥] وقال ﷻ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

والأمر الثاني: كتابته سبحانه لكل ما قدره وقضاه، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾ [ق: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

الأمر الثالث: الإيمان بمشيئته النافذة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨]. وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير: ٢٩].

الأمر الرابع: خلقه سبحانه لجميع الموجودات، لا خالق غيره، ولا رب سواه، كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

فالإيمان بالقدر يشمل الإيمان بهذه الأمور الأربعة عند أهل السنة والجماعة خلافًا لمن أنكر بعض ذلك من أهل البدع، ويدخل في الإيمان بالله اعتقاد أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأنه لا يجوز تكفير أحد من المسلمين بشيء من المعاصي، التي دون الشرك والكفر، كالزنا، والسرقة، وأكل الربا، وشرب

المسكرات، وعقوق الوالدين، وغير ذلك من الكبائر ما لم يستحل ذلك؛ لقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ولما ثبت في الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ أن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ومن الإيمان بالله الحب في الله، والبُغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة في الله، فيحب المؤمن المؤمنين ويواليهم، ويبغض الكفار ويعاديهم، وعلىٰ رأس المؤمنين من هذه الأُمة أصحاب رسول الله ﷺ، فأهل السنة والجماعة يحبونهم ويوالونهم، ويعتقدون أنهم خير الناس بعد الأنبياء؛ لقول النبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(١). متفق علىٰ صحته، ويعتقدون أن أفضلهم أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضىٰ رضي الله عنهم أجمعين، وبعدهم بقية العشرة، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويعتقدون أنهم في ذلك مجتهدون، من أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر، ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ المؤمنين به، ويتولونهم ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويترضون عنهن جميعًا، ويتبرءون من طريقة الروافض، الذين يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ، ويسبونهم، ويغلون في أهل البيت، ويرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله عَزَّوَجَلَّ، كما يتبرءون من طريقة النواصب، الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل. وجميع ما ذكرناه في هذه الكلمة الموجزة داخل في العقيدة الصحيحة، التي بعث الله بها رسوله محمدًا ﷺ، وهي عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٦٦٣٥).

التي قال فيها النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أُمتي علىٰ الحق، منصورة، لا يضرهم من خذلهم؛ حتي يأتي أمر الله سبحانه**»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. فقال الصحابة: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي**»(٢). وهي العقيدة التي يجب التمسك بها، والاستقامة عليها والحذر مما خالفها.

وأما المنحرفون عن هذه العقيدة والسائرون علىٰ ضدها، فهم أصناف كثيرة، فمنهم عباد الأصنام، والأوثان، والملائكة، والأولياء، والجن، والأشجار، والأحجار وغيرها، فهؤلاء لم يستجيبوا لدعوة الرسل، بل خالفوهم وعاندوهم، كما فعلت قريش، وأصناف العرب مع نبينا محمد ﷺ، وكانوا يسألون معبوداتهم قضاء الحاجات، وشفاء المرضىٰ، والنصر علىٰ الأعداء، ويذبحون لهم وينذرون لهم، فلما أنكر عليهم رسول الله ﷺ ذلك، وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده، استغربوا ذلك وأنكروه، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ [ص: ٥] فلم يزل ﷺ يدعوهم إلىٰ الله، وينذرهم من الشرك، ويشرح لهم حقيقة ما يدعو إليه، حتىٰ هدىٰ الله منهم من هدىٰ، ثم دخلوا بعد ذلك في دين الله أفواجًا، فظهر دين الله علىٰ سائر الأديان بعد دعوة متواصلة، وجهاد طويل من رسول الله ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، ثم تغيرت الأحوال، وغلب الجهل علىٰ أكثر الخلق

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

حتىٰ عاد الأكثرون إلىٰ دين الجاهلية، بالغلو في الأنبياء، والأولياء ودعائهم، والاستغاثة بهم، وغير ذلك من أنواع الشرك، ولم يعرفوا معنىٰ لا إله إلا الله، كما عرف معناها كفار العرب، فالله المستعان.

ولم يزل هذا الشرك يفشو في الناس إلىٰ عصرنا هذا بسبب غلبة الجهل، وبعد العهد بعصر النبوة.

وشبهة هؤلاء المتأخرين هي شبهة الأولين، وهي قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقد أبطل الله هذه الشبهة، وبيَّن أن من عبد غيره كائنًا من كان فقد أشرك به، وكفر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، فرد الله عليهم سبحانه بقوله: ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨]، فبين سبحانه في هذه الآية أن عبادة غيره من الأنبياء والأولياء، أو غيرهم، هي الشرك الأكبر، وإن سماها فاعلوها بغير ذلك، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فرد الله عليهم سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ [الزمر: ٣]، فأبان بذلك سبحانه أن عبادتهم لغيره بالدعاء والخوف والرجاء، ونحو ذلك كفر به سبحانه، وأكذبهم في قولهم: إن آلهتهم تقربهم إليه زلفىٰ.

ومن العقائد الكفرية المضادة للعقيدة الصحيحة، والمخالفة لما جاءت به

الرسل عليهم الصلاة والسلام: ما يعتقده الملاحدة في هذا العصر من أتباع ماركس ولينين، وغيرهما، من دعاة الإلحاد والكفر، سواء سموا ذلك: اشتراكية، أو شيوعية، أو بعثية، أو غير ذلك من الأسماء فإن من أصول هؤلاء الملاحدة أنه لا إله والحياة مادة، ومن أصولهم إنكار المعاد، وإنكار الجنة والنار، والكفر بالأديان كلها، ومن نظر في كتبهم، ودرس ما هم عليه، علم ذلك يقينًا، ولا ريب أن هذه العقيدة مضادة لجميع الأديان السماوية، ومفضية بأهلها إلىٰ أسوإ العواقب في الدنيا والآخرة، ومن العقائد المضادة للحق ما يعتقده بعض المتصوفة من أن بعض من يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير، ويتصرفون في شئون العالم، ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغواث، وغير ذلك من الأسماء، التي اخترعوها لآلهتهم، وهذا من أقبح الشرك في الربوبية، وهو شر من شرك جاهلية العرب؛ لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في العبادة، وكان شركهم في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيخلصون لله العبادة، كما قال الله سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

أما الربوبية فكانوا معترفين بها لله وحده، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]. وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١] والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

أما المشركون المتأخرون فزادوا علىٰ الأولين من جهتين، إحداهما: شرك بعضهم في الربوبية، والثانية: شركهم في الرخاء والشدة، كما يعلم ذلك من خالطهم

وسبر أحوالهم، ورأىٰ ما يفعلون عند قبر الحسين والبدوي، وغيرهما في مصر، وعند قبر العيدروس في عدن، والهادي في اليمن، وابن عربي في الشام، والشيخ: عبد القادر الجيلاني في العراق، وغيرها من القبور المشهورة التي غلت فيها العامة، وصرفوا لها الكثير من حق الله عَزَّوَجَلَّ، وقلَّ من ينكر عليهم ذلك، ويبين لهم حقيقة التوحيد، الذي بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ، ومن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونسأله سبحانه أن يردهم إلىٰ رشدهم، وأن يكثر بينهم دعاة الهدىٰ، وأن يوفق قادة المسلمين، وعلماءهم لمحاربة هذا الشرك والقضاء عليه ووسائله، إنه سميع قريب.

ومن العقائد المضادة للعقيدة الصحيحة في باب الأسماء والصفات: عقائد أهل البدع: من الجهمية، والمعتزلة، ومن سلك سبيلهم في نفي صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وتعطيله سبحانه من صفات الكمال، ووصفه عَزَّوَجَلَّ بصفة المعدومات والجمادات والمستحيلات - تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا - ويدخل في ذلك مَنْ نفىٰ بعض الصفات، وأثبت بعضها، كالأشاعرة، فإنه يلزمهم فيما أثبتوه من الصفات نظير ما فروا منه من الصفات التي نفوها، وتأولوا أدلتها، فخالفوا بذلك الأدلة السمعية والعقلية، وتناقضوا في ذلك تناقضًا بينًا، أما أهل السنة والجماعة، فقد أثبتوا لله سبحانه ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله محمد ﷺ من الأسماء والصفات علىٰ وجه الكمال، ونزهوه عن مشابهة خلقه، تنزيهًا بريئًا من شائبة التعطيل، فعملوا بالأدلة كلها ولم يحرفوا ولم يعطلوا، وسلموا من التناقض، الذي وقع فيه غيرهم- كما سبق بيان ذلك-، وهذا هو سبيل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، وهو الصراط المستقيم،

الذي سلكه سلف هذه الأمة وأئمتها، ولن يصلح آخرهم إلا ما صلح به أولهم وهو اتباع الكتاب والسنة، وترك ما خالفهما.

والله ولي التوفيق، وهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا به، وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.





الرسالة الثالثة

أخطاء في العقيدة[1]

(١) انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٨/ ٢٨-٣٣).



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلىٰ من يراه من المسلمين:

وفقهم الله لما فيه رضاه وزادهم من العلم والإيمان، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❑ **وبعد:**

بلغني أن كثيرًا من الناس يقع في أخطاء كثيرة في العقيدة، وفي أشياء يظنونها سُنَّة وهي بدعة، ومن ذلك إنكار علو الله، واستوائه علىٰ عرشه. ومعلوم أن الله سبحانه بيَّن ذلك في كتابه الكريم، حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] الآية، ذكر ذلك سبحانه في سبع آيات من كتابه العظيم منها هذه الآية، ولما سئل مالك عن ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب)، وهكذا قال غيره من أئمة السلف.

ومعنىٰ الاستواء معلوم، يعني: من جهة اللغة العربية: وهو العلو والارتفاع، وقال سبحانه: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فاطر: ١٠]، في آيات كثيرة كلها تدل علىٰ: علوه وفوقيته، وأنه سبحانه فوق العرش، فوق جميع الخلق، وهذا قول أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ، وغيرهم.

فالواجب اعتقاد ذلك، والتواصي به، وتحذير الناس من خلافه.

ومن ذلك: اتخاذ المساجد على القبور والصلاة عندها، وجعل القباب عليها، وهذا كله من وسائل الشرك، وقد لعن النبي ﷺ اليهود والنصارى على ذلك، وحذر منه، فقال ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1]. متفق على صحته، وقال ﷺ: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ إني أنهاكم عن ذلك**»[2]. أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جندب، وخرَّج مسلم في صحيحه أيضًا عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، قال: «**نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه**»[3]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على المسلمين الحذر من ذلك، والتواصي بتركه؛ لتحذير النبي ﷺ من ذلك، ولأن ذلك من وسائل الشرك بأصحاب القبور، ودعائهم، والاستغاثة بهم، وطلبهم النصر.. إلى غير ذلك من أنواع الشرك.

ومعلوم أن الشرك هو أعظم الذنوب، وأكبرها، وأخطرها، فالواجب: الحذر منه، ومن وسائله وذرائعه، وقد حذر الله عباده من ذلك في آيات كثيرات، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، ومنها قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، ومنها قوله عز وجل: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (١٢١٢).
(٢) أخرجه مسلم (١٢١٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٨٩).

﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

❑ ومن أنواع الشرك الأكبر:

دعاء الأموات، والغائبين، والجن، والأصنام، والأشجار والنجوم، والاستغاثة بهم، وسؤالهم شفاء المرضىٰ، والنصر علىٰ الأعداء. وهذا هو دين المشركين الأولين من كفار قريش، وغيرهم، كما قال الله سبحانه عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] الآية، وقال سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٢، ٣].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، وهي تدل علىٰ أن المشركين الأولين يعلمون أن الله هو الخالق الرازق النافع الضار، وإنما عبدوا آلهتهم؛ ليشفعوا لهم عند الله، ويقربوهم لديه زلفىٰ، فكفرهم سبحانه بذلك، وحكم بكفرهم وشركهم، وأمر نبيه بقتالهم؛ حتىٰ تكون العبادة لله وحده، كما قال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: ٣٩] الآية.

وقد كتب العلماء في ذلك كتبًا كثيرة، وأوضحوا فيها حقيقة الإسلام، الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وبيَّنوا فيها دين الجاهلية، وعقائدهم، وأعمالهم المخالفة لشرع الله، كعبد الله ابن الإمام أحمد، والإمام الكبير: محمد بن خزيمة في (كتاب التوحيد)، ومحمد بن وضاح، وغيرهم من الأئمة. ومن أحسن ما كتب في ذلك ما كتبه شيخ الإسلام: ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتبه الكثيرة، ومن أخصرها كتابه:

«القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة»، ومن ذلك ما كتبه الشيخ: عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله في كتابه: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد».

❑ ومن الأعمال المنكرة الشركية:

الحلف بغير الله؛ كالحلف بالنبي ﷺ، أو بغيره من الناس، والحلف بالأمانة، وكل ذلك من المنكرات ومن المحرمات الشركية؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ حلف بشيء دون الله فقد أشرك**»(١). خرجه الإمام أحمد رحمه الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإسناد صحيح، وأخرج أبو داود والترمذي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»(٢)، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من حلف بالأمانة فليس منا**»(٣). والأحاديث في ذلك كثيرة.

والحلف بغير الله من الشرك الأصغر عند أهل العلم، فالواجب: الحذر منه، وهو وسيلة إلىٰ الشرك الأكبر، وهكذا قول: ما شاء الله، وشاء فلان، ولولا الله وفلان، وهذا من الله ومن فلان، والواجب: أن يقال: ما شاء الله، ثم شاء فلان، أو لولا الله، ثم فلان، أو هذا من الله، ثم من فلان؛ لما ثبت عنه ﷺ، أنه قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان**»(٤).

❑ ومن المحرمات الشركية التي قد وقع فيها كثير من الناس:

تعليق التمائم والحروز من العظام، أو الودع، أو غير ذلك، وتسمىٰ: التمائم،

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٧)، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة ضمن حديث رقم (٢٠٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١٥٣٥)، وصححه العلامة الألباني في «الإرواء» (٢٥٦١).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٥٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٠٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٥٩)، وصححه العلامة الألباني في المشكاة (٤٧٧٨).

وقد قال ﷺ: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، ومن تعلق تميمة فقد أشرك**»[١] وقال ﷺ: «**إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك**»[٢]. وهذه الأحاديث تعم الحروز والتمائم من القرآن وغيره؛ لأن الرسول ﷺ لم يستثن شيئًا، ولأن تعليق التمائم من القرآن وسيلة إلىٰ تعليق غيرها، فوجب منع الجميع؛ سدًّا لذرائع الشرك، وتحقيقًا للتوحيد، وعملًا بعموم الأحاديث، إلا الرقىٰ، فإن الرسول ﷺ استثنىٰ منها ما ليس فيه شرك، فقال ﷺ: «**لا بأس بالرقىٰ ما لم تكن شركًا**»[٣]. وقد رقىٰ ﷺ بعض أصحابه، فالرقىٰ لا بأس بها، فهي من الأسباب الشرعية إذا كانت من القرآن الكريم، أو مما صحت به السنة، أو من الكلمات الواضحة التي ليس بها شرك ولا لفظ منكر.

❑ ومن المنكرات المبتدعة:

الاحتفال بالموالد، سواء كان ذلك بمولد النبي ﷺ أو غيره؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا بقية الصحابة رضي الله عنهم، ولا أتباعهم بإحسان في القرون الثلاثة المفضلة، وإنما حدث في القرن الرابع وما بعده؛ بسبب الفاطميين، وغيرهم من الشيعة، ثم فعله بعض أهل السنة؛ جهلًا بالأحكام الشرعية، وتقليدًا لمن فعله من أهل البدع، فالواجب: الحذر من ذلك؛ لكونه من البدع المنكرة الداخلة في قوله ﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[٤]،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، وضعفه العلامة الألباني في «غاية المرام» (٢٩٥).
(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨١)، وصححه العلامة الألباني في «غاية المرام» (٢٩٨).
(٣) أخرجه مسلم (٥٨٦٢).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٠٩)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٦٥).

وقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[١] متفق علىٰ صحته من حديث عائشة رضي الله عنها، وقوله ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٢] خرجه مسلم في صحيحه، وقوله ﷺ في خطبه: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[٣] خرجه مسلم في صحيحه.

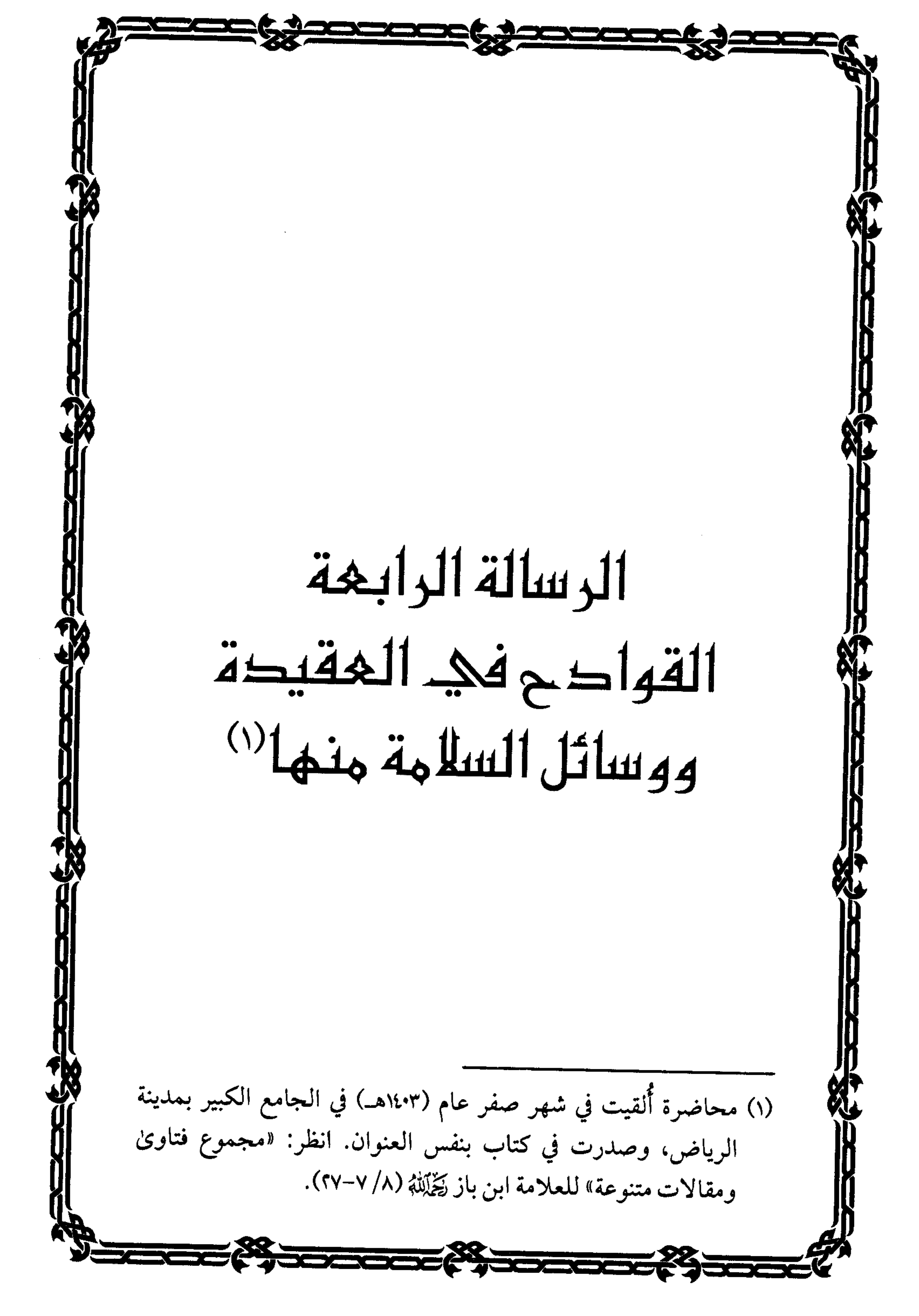
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ولأن الاحتفال بالموالد من وسائل الغلو والشرك، فالواجب الحذر منها، والتحذير منها، والتواصي بالاستقامة علىٰ السنة، وترك ما خالفها.

والله المسئول أن يوفقنا وإياكم وسائر المسلمين لما فيه رضاه، وأن يمنحنا جميعًا الفقه في دينه والثبات عليه، وأن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن، ونزغات الشيطان، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (٤٥٨٩).
(٢) أخرجه مسلم (٤٥٩٠).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).



الرسالة الرابعة
القوادح في العقيدة
ووسائل السلامة منها[1]

(١) محاضرة أُلقيت في شهر صفر عام (١٤٠٣هـ) في الجامع الكبير بمدينة الرياض، وصدرت في كتاب بنفس العنوان. انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (٨/ ٧-٢٧).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علىٰ عبده ورسوله وخليله، وأمينه علىٰ وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن سلك سبيله، واهتدىٰ بهداه إلىٰ يوم الدين.

❑ **أما بعد:**

فلا ريب أن سلامة العقيدة أهم الأمور، وأعظم الفرائض، ولهذا رأيت أن يكون عنوان هذه الكلمة:

«القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها»

* **العقيدة:** هي ما يعتقده الإنسان ويدين به، من خير وشرٍّ، من فساد وصلاح.

والمطلوب: هو التمسك بالعقيدة الصحيحة، وما يجب علىٰ العبد في ذلك؛ لأن في هذا العالم عقائد كثيرة، كلها فاسدة إلا العقيدة التي جاء بها كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، وهي العقيدة الإسلامية الصافية، النقية من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، هذه هي العقيدة التي جاء بها كتاب الله، ودلت عليها سُنَّة رسول الله ﷺ، وهي: الإسلام.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

* فالإسلام هو دين الله، لا يُقبل من أحد سواه، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهو دين الأنبياء كلهم، فهو دين آدم أبينا عليه الصلاة والسلام، وهو دين الأنبياء بعده: نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، وداود، وسليمان، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ودين غيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو دين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي بعثه الله به للناس عامة.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتىٰ، ودينهم واحد**»(١)، وفي لفظ: «**أولاد علات**»(٢).

* **والمعنىٰ**: أن دين الأنبياء واحد: وهو توحيد الله، والإيمان بأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه المستحق للعبادة دون كل ما سواه، والإيمان بالآخرة والبعث والنشور، والجنة والنار والميزان، وغير هذا من أمور الآخرة، أما الشرائع فهي مختلفة، وهذا معنىٰ «**أولاد علات**»: أولاد لضرَّات، كنَّىٰ بهذا عن الشرائع، كما قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

إخوة الأب: أبوهم واحد وأمهاتهم متفرقات، هكذا الأنبياء دينهم واحد وهو: توحيد الله والإخلاص له.

* وهو معنىٰ (لا إله إلا الله)، وهو: إفراد الله بالعبادة، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وما يتفرع بعد ذلك من البعث

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٦٢٧٩).

والنشور، والجنة والنار، والميزان والحساب والصراط، وغير هذا.

هكذا الأنبياء دينهم واحد، كلهم جاءوا بهذا الأمر عليهم الصلاة والسلام، ولكن الشرائع تفرقت، بمثابة الأولاد لأمهات العلَّات، فشريعة التوراة فيها ما ليس في شريعة الإنجيل، وفي الشرائع التي قبلها أشياء ليست فيها، وفي شريعة نبينا محمد ﷺ أشياء غير ما في التوراة والإنجيل.

فقد يسر الله علىٰ هذه الأمة، وخفف عنها الكثير، كما قال جل وعلا: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**بُعثت بالحنيفية السمحة**»(١).

فالله بعثه بشريعة سمحة، ليس فيها آصار، وليس فيها أغلال، وليس فيها حرج، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

كان أتباع الشرائع الماضية قبل شريعة نبينا ﷺ، لا يتيممون عند فَقْدِ الماء، بل يؤخرون الصلوات، ويجمعونها؛ حتىٰ يجدوا الماء، ثم يتوضئون ويصلون، وجاء في هذه الشريعة المحمدية التيمم، فمن عُدِمَ الماء أو عجز عنه؛ تيمم بالتراب وصلىٰ، وجاء في ذلك أنواع كثيرة من التيسير والتسهيل.

وكان كل نبي يُبعث إلىٰ قومه خاصة، وبُعث النبي محمد ﷺ إلىٰ الناس عامة؛ إلىٰ الجن والإنس، والعرب والعجم، وجعله الله خاتم الأنبياء.

وكان من قبلنا لا يصلون إلا في بِيَعهم، ومساجدهم، ومحلات صلاتهم، أما في

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٦)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٢٩٢٤).

هذه الشريعة المحمدية، فإنك تصلي حيث كنت، في أي أرض الله حضرت الصلاة صليت، في أي أرض الله؛ من الصحاري والقفار، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»(١).

* فالشريعة الإسلامية التي جاء بها نبينا ﷺ شريعة واسعة ميسرة، ليس فيها حرج ولا أغلال.

ومن ذلك: المريض، لا يلزمه الصوم، بل له أن يفطر ويقضي، والمسافر يقصر الصلاة الرباعية، ويفطر في رمضان، ويقضي الصوم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والمصلي إن عجز عن القيام؛ صلىٰ قاعدًا، وإن عجز عن القعود؛ صلىٰ علىٰ جنبه، وإن عجز عن الصلاة علىٰ جنبه؛ صلىٰ مستلقيًا، كما صحت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ.

وإذا لم يجد من الأكل ما يسد رمقه من الحلال؛ جاز له أن يأكل من الميتة ونحوها ما يسد رمقه؛ حتىٰ لا يموت.

❑ فالعقيدة الإسلامية:

هي توحيد الله والإخلاص له سبحانه، والإيمان به، وبرسله، وبكتبه، وبملائكته، وباليوم الآخر من البعث والنشور، ومن الجنة والنار وغير ذلك من أمور الآخرة، والإيمان بالقدر خيره وشره، وأنه سبحانه قدر الأشياء، وعلمها وأحاط بها، وكتبها عنده سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (١١٩١).

* **ومن أركان الإسلام:** الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

* **ومن واجباته وفرائضه:** الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، إلىٰ غير ذلك.

فالإسلام: هو الاستسلام لله، والانقياد له سبحانه بتوحيده، والإخلاص له، والتمسك بطاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، ولهذا سُمِّي إسلامًا؛ لأن المسلم يسلم أمره لله، ويوحده سبحانه، ويعبده وحده دون ما سواه، وينقاد لأوامره، ويدع نواهيه، ويقف عند حدوده، هكذا الإسلام.

* **وله أركان خمسة وهي:** شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا.

والشهادتان معناهما: توحيد الله والإخلاص له، والإيمان بأن محمدًا رسوله عليه الصلاة والسلام إلىٰ جميع الثقلين؛ الجن والإنس، وهاتان الشهادتان هما أصل الدين، وهما أساس الملة، فلا معبود بحق إلا الله وحده، وهذا هو معنىٰ لا إله إلا الله، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

وأما شهادة أن محمدًا رسول الله فمعناها: أن تشهد - عن يقين وعلم - أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي المكي، ثم المدني هو رسول الله حقًّا، وهو أشرف عباد الله، وقرابته وأسرته هم أفضل العرب علىٰ الإطلاق، فهو خيار من خيار من خيار عليه الصلاة والسلام، وهو أشرف الخلق وسيد ولد آدم ﷺ، وعلىٰ آله وأصحابه.

فعليك أن تؤمن بأن الله بعثه للناس عامة، إلىٰ الجن والإنس، إلىٰ الذكور والإناث، إلىٰ العرب والعجم، إلىٰ الأغنياء والفقراء، إلىٰ الحاضرة والبادية، هو رسول الله إلىٰ الجميع، من اتبعه فله الجنة، ومن خالف أمره فله النار.

قال النبي ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**». قيل: يا رسول الله، ومن يأبىٰ؟ قال: «**من أطاعني؛ دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**»(١)، خرجه البخاري في صحيحه.

فهذه العقيدة الإسلامية العظيمة مضمونها: توحيد الله، والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد ﷺ، وأنه رسوله حقًّا، والإيمان بجميع المرسلين، مع الإيمان بوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله.

هذه هي العقيدة الإسلامية المحمدية.

وقد وقع من بعض الناس قوادح فيها، ونواقض تنقضها يجب أن نبينها في هذه الكلمة.

❑ **والقوادح قسمان:**

○ **قسم ينقض هذه العقيدة ويبطلها، فيكون صاحبه كافرًا، نعوذ بالله.**

○ **وقسم يُنقص هذه العقيدة ويُضعفها.**

❑ **فالأول:**

يسمىٰ: ناقضًا وهو: الذي يبطلها ويفسدها، ويكون صاحبه كافرًا مرتدًّا عن

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

الإسلام، وهذا النوع هو: القوادح المكفرة:

وهي نواقض الإسلام، وهي الموجبة للردة، هذه تسمىٰ: نواقض.

والناقض: يكون قولًا، ويكون عملًا، ويكون اعتقادًا، ويكون شكًّا.

فقد يرتد الإنسان بقول يقوله، أو بعمل يعمله، أو باعتقاد يعتقده، أو بشكٍّ يطرأ عليه، هذه الأمور الأربعة كلها يأتي منها الناقض، الذي يقدح في العقيدة ويبطلها، وقد ذكرها أهل العلم في كتبهم وسمَّوا بابها: (باب حكم المرتد).

فكل مذهب من مذاهب العلماء، وكل فقيه من الفقهاء ألف كتبًا - في الغالب - عندما يذكر الحدود يذكر (باب حكم المرتد): وهو الذي يكفر بعد الإسلام، ويسمىٰ هذا: مرتدًّا، يعني: أنه رجع عن دين الله وارتد عنه.

قال فيه النبي ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»(١). خرجه البخاري في الصحيح.

وفي الصحيحين: «أن النبي ﷺ بعث أبا موسىٰ الأشعري إلىٰ اليمن، ثم أتبعه معاذ بن جبل رضي الله عنهما، فلما قدم عليه، قال: انزل وألقىٰ له وسادة، وإذا رجل عنده موثق قال: ما هذا؟ قال: هذا كان يهوديًا فأسلم، ثم راجع دينه - دين السوء - فتهود، فقال معاذ: لا أنزل، حتىٰ يقتل قضاء الله ورسوله، فقال: انزل، قال: لا أنزل؛ حتىٰ يقتل قضاء الله ورسوله ثلاث مرات؛ فأمر به أبو موسىٰ رضي الله عنه فقُتل»(٢).

فدل ذلك علىٰ أن المرتد عن الإسلام يقتل، إذا لم يتب، يستتاب، فإن تاب ورجع فالحمد لله، وإن لم يرجع وأصر علىٰ كفره وضلاله، يقتل، ويعجل به إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٤١، ٤٣٤٢).

النار؛ لقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»(١).

❑ فالنواقض التي تنقض الإسلام كثيرة منها:

○ الردة بالقول:

مثل: سب الله، هذا قول ينقض الدين، وهكذا سب الرسول ﷺ، يعني: اللعن والسب لله ولرسوله، أو العيب والتنقص، مثل أن يقول: إن الله ظالم، إن الله بخيل، إن الله فقير، إن الله جل وعلا لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر علىٰ بعض الأمور، كل هذه الأقوال وأشباهها سبٌّ وردة عن الإسلام.

فمن انتقص الله، أو سبه، أو عابه بشيء فهو كافر مرتد عن الإسلام - نعوذ بالله من ذلك -، وهذه ردة قولية، إذا سب الله، أو استهزأ به، أو تنقصه، أو وصفه بأمر لا يليق، كما تقول اليهود: إن الله بخيل، إن الله فقير ونحن أغنياء، وهكذا لو قال: إن الله لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر علىٰ بعض الأمور، أو نفىٰ صفات الله ولم يؤمن بها؛ فهذا يكون مرتدًّا بأقواله السيئة.

أو قال مثلًا: إن الله لم يوجب علينا الصلاة، فهذه ردة عن الإسلام، فمن قال: إن الله لم يوجب الصلاة، فقد ارتد عن الإسلام بإجماع المسلمين، إلا إذا كان جاهلًا بعيدًا عن المسلمين لا يعرف، فيعلم، فإن أصر؛ كفر.

وأما إذا كان بين المسلمين، ويعرف أمور الدين، ثم قال: ليست الصلاة بواجبة. فهذه ردة، يستتاب منها، فإن تاب وإلا قُتل، أو قال: الزكاة غير واجبة علىٰ الناس، أو قال: صوم رمضان غير واجب علىٰ الناس، أو الحج مع الاستطاعة غير

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧).

واجب على الناس، من قال هذه المقالات، كفر إجماعًا، ويستتاب فإن تاب وإلا قُتل - نعوذ بالله من ذلك - وهذه الأمور ردة قولية.

○ **ومنها: الردة بالفعل:**

والردة الفعلية مثل: ترك الصلاة، فكونه لا يصلي وإن قال: إنها واجبة - لكن لا يصلي - هذه ردة على الأصح من أقوال العلماء؛ لقول النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»(١). رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه بإسناد صحيح.

وقوله ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر: ترك الصلاة**»(٢). أخرجه مسلم في صحيحه.

وقال عبد الله بن شقيق العقيلي - التابعي المتفق على جلالة قدره رحمه الله: «كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»(٣). رواه الترمذي، وإسناده صحيح.

وهذه ردة فعلية، وهي ترك الصلاة عمدًا.

ومن ذلك: لو استهان بالمصحف الشريف وقعد عليه مستهينًا به، أو لطخه بالنجاسة عمدًا، أو وطئه بقدمه يستهين به، فإنه يرتد بذلك عن الإسلام.

ومن الردة الفعلية: كونه يطوف بالقبور يتقرب لأهلها بذلك، أو يصلي لهم، أو

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

للجن، وهذه ردة فعلية.

أما دعاؤه لهم والاستعانة بهم والنذر لهم: فَرِدَّةٌ قولية.

أما من طاف بالقبور، يقصد بذلك عبادة الله، فهو بدعة قادحة في الدين، ووسيلة من وسائل الشرك، ولا يكون ردة، إنما يكون بدعة قادحة في الدين إذا لم يقصد التقرب إليهم بذلك، وإنما فعل ذلك تقربًا إلىٰ الله سبحانه جهلًا منه.

ومن الكفر الفعلي: كونه يذبح لغير الله، ويتقرب لغيره سبحانه بالذبائح، يذبح البعير، أو الشاة، أو الدجاجة، أو البقرة لأصحاب القبور تقربًا إليهم يعبدهم بها، أو للجن يعبدهم بها، أو للكواكب يتقرب إليها بذلك، وهذا مما أُهِلَّ به لغير الله، فيكون ميتة، ويكون كفرًا أكبر، نسأل الله العافية من ذلك، هذه كلها من أنواع الردة والنواقض عن الإسلام الفعلية.

○ ومنها: الردة بالاعتقاد:

ومن أنواع الردة العقدية التي يعتقدها بقلبه وإن لم يتكلم بها ولم يفعل، بل بقلبه يعتقد: إذا اعتقد بقلبه أن الله جل وعلا فقير، أو أنه بخيل، أو أنه ظالم، ولو أنه ما تكلم، ولو لم يفعل شيئًا، هذا كفر - بمجرد هذه العقيدة - بإجماع المسلمين.

أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد بعث ولا نشور، وأن كل ما جاء في هذا ليس له حقيقة، أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد جنة أو نار، ولا حياة أخرىٰ، إذا اعتقد ذلك بقلبه ولو لم يتكلم بشيء، هذا كفر وردة عن الإسلام - نعوذ بالله من ذلك -، وتكون أعماله باطلة، ويكون مصيره إلىٰ النار بسبب هذه العقيدة.

وهكذا لو اعتقد بقلبه - ولو لم يتكلم - أن محمدًا ﷺ ليس بصادق، أو أنه

ليس بخاتم الأنبياء، وأن بعده أنبياء، أو اعتقد أن مسيلمة الكذاب نبي صادق، فإنه يكون كافرًا بهذه العقيدة.

أو اعتقد بقلبه أن نوحًا، أو موسىٰ، أو عيسىٰ، أو غيرهم من الأنبياء عليهم السلام، أنهم كاذبون، أو أحدًا منهم، هذا ردة عن الإسلام.

أو اعتقد أنه لا بأس أن يدعىٰ مع الله غيره، كالأنبياء، أو غيرهم من الناس، أو الشمس والكواكب، أو غيرها، إذا اعتقد بقلبه ذلك، صار مرتدًّا عن الإسلام؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر: ١٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

فمن زعم أو اعتقد أنه يجوز أن يُعبد مع الله غيره؛ من ملك، أو نبيٍّ، أو شجر، أو جِنٍّ، أو غير ذلك فهو كافر، وإذا نطق وقال بلسانه ذلك، صار كافرًا بالقول والعقيدة جميعًا، وإن فعل ذلك ودعا غير الله واستغاث بغير الله؛ صار كافرًا بالقول

والعمل والعقيدة جميعًا، نسأل الله العافية من ذلك.

ومما يدخل في هذا: ما يفعله عباد القبور اليوم في كثير من الأمصار من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وطلب المدد منهم، فيقول بعضهم: يا سيدي، المدد المدد، يا سيدي، الغوث الغوث، أنا بجوارك، اشف مريضي، ورُدَّ غائبي، وأصلح قلبي، يخاطبون الأموات الذين يسمونهم: الأولياء، ويسألونهم هذا السؤال، نسوا الله وأشركوا معه غيره – تعالىٰ الله عن ذلك –، فهذا كفر قولي وعقدي وفعلي.

وبعضهم ينادي من مكان بعيد وفي أمصار متباعدة: يا رسول الله، انصرني... ونحو هذا، وبعضهم يقول عند قبره: يا رسول الله، اشف مريضي، يا رسول الله، المدد المدد، انصرنا علىٰ أعدائنا، أنت تعلم ما نحن فيه، انصرنا علىٰ أعدائنا.

والرسول ﷺ لا يعلم الغيب؛ إذ لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه، هذا من الشرك القولي والعملي، وإذا اعتقد مع ذلك أن هذا جائز، وأنه لا بأس به، صار شركًا قوليًّا وفعليًّا وعقديًّا، نسأل الله العافية من ذلك.

وهذا واقع في دول وبلدان كثيرة، وكان واقعًا في هذه البلاد، كان واقعًا في الرياض والدرعية قبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد كانت لهم آلهة في الرياض، والدرعية، وغيرهما، أشجار تُعبد من دون الله، وأناس يقال: إنهم من الأولياء يعبدونهم مع الله، وقبور تعبد مع الله.

وكان قبر زيد بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موجودًا في الجُبَيْلة حيث قُتِلَ في حروب الرِّدَّة أيام مسيلمة، كان قبره يُعبد من دون الله حتىٰ هدم ذلك القبر، ونسي اليوم والحمد لله، بأسباب دعوة الشيخ محمد – قدس الله روحه وجزاه عنا وعن المسلمين أفضل

الجزاء -.

وقد كان في نجد والحجاز من الشرك العظيم والاعتقادات الباطلة، ودعوة غير الله ما لا يعد ولا يحصىٰ، فلما جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، - أي: قبل ما يزيد عن مائتي سنة، دعا إلىٰ الله وأرشد الناس، فعاداه كثير من العلماء الجهلة وأهل الهوىٰ، لكن الله أيده بعلماء الحق، وبآل سعود - رحم الله الجميع -، فدعا إلىٰ الله، وأرشد الناس إلىٰ توحيد الله.

وبيَّن لهم: أن عبادة الجن والأحجار والأولياء والصالحين، وغيرهم شرك من عمل الجاهلية، وأنها أعمال أبي جهل، وأمثاله من كفار قريش في عبادتهم اللات، والعزىٰ، ومناة، وعبادة القبور، هذه هي أعمالهم.

فبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ للناس، وهدىٰ الله علىٰ يديه من هدىٰ، ثم عمت الدعوة بلاد نجد والحجاز، وبقية الجزيرة العربية، وانتشر فيها التوحيد والإيمان، وترك الناس الشرك بالله، وعبادة القبور والأولياء بعد أن كانوا يعبدونها، إلا من رحم الله، بل كان بعضهم يعبد أناسًا مجانين، لا عقول لهم، ويسمونهم: أولياء، وهذا من عظيم جهلهم، الذي كانوا واقعين فيه.

○ ومنها: **الردة بالشك:**

عَرَضْنَا للردة التي تكون بالقول، والردة بالعمل، والردة بالعقيدة، أما الردة بالشك: فمثل الذي يقول: أنا لا أدري هل الله حق أم لا؟.. أنا شاك، هذا كافر كفر شك، أو قال: أنا لا أعلم، هل البعث حق أم لا؟ أو قال: أنا لا أدري هل الجنة والنار حق أم لا؟ أنا لا أدري، أنا شاكٌّ، فمثل هذا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافرًا لشكه

فيما هو معلوم من الدين بالضرورة، وبالنص والإجماع.

فالذي يشك في دينه ويقول: أنا لا أدري هل الله حق؟ أو هل الرسول حق؟ وهل هو صادق أم كاذب؟ أو قال: لا أدري هل هو خاتم النبيين؟ أو قال: لا أدري مسيلمة كاذب أم لا؟ أو قال: ما أدري هل الأسود العنسي - الذي ادعىٰ النبوة في اليمن - كاذب أم لا؟ هذه الشكوك كلها ردة عن الإسلام، يستتاب صاحبها ويبين له الحق، فإن تاب وإلا قُتل.

ومثل لو قال: أشك في الصلاة هل هي واجبة أم لا؟ أو الزكاة هل هي واجبة أم لا؟ وصيام رمضان هل هو واجب أم لا؟ أو شك في الحج مع الاستطاعة، هل هو واجب في العمر مرة أم لا؟ فهذه الشكوك كلها كفر أكبر يستتاب صاحبها، فإن تاب وآمن وإلا قُتِل؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ بدَّل دينه فاقتلوه**»(١) رواه البخاري في الصحيح.

فلا بد من الإيمان بأن هذه الأمور - أعني: الصلاة والزكاة والصيام والحج - كلها حق، وواجبة علىٰ المسلمين بشروطها الشرعية.

هذا الذي تقدم هو القسم الأول من القوادح، وهو القسم الذي ينقض الإسلام ويبطله، ويكون صاحبه مرتدًّا يستتاب، فإن تاب وإلا قُتِلَ.

❑ أما النوع الثاني:

فهو وجود القوادح دون الكفر، لكنها تضعف الإيمان وتنقصه، وتجعل صاحبها معرَّضًا للنار وغضب الله، لكن لا يكون صاحبها كافرًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧).

* **وأمثلة ذلك كثيرة منها**: الزنا إذا آمن أنه حرام ولم يستحله، بل يزني ويعلم أنه عاصٍ، هذا لا يكون كافرًا وإنما يكون عاصيًا، لكن إيمانه ناقص. وهذه المعصية قدحت في عقيدته، لكن دون الكفر. فلو اعتقد أن الزنا حلال، صار بذلك كافرًا.

وهكذا لو قال: السرقة حلال، أو ما أشبه ذلك، يكون كافرًا؛ لأنه استحل ما حرم الله.

وكذلك الغيبة، والنميمة، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وأشباه ذلك، كل هذه من القوادح في العقيدة المضعفة للدين والإيمان.

* وهكذا البدع، وهي أشد من المعاصي، فالبدع في الدين تضعف الإيمان، ولا تكون ردة ما لم يوجد فيها شرك.

ومن أمثلة ذلك: بدعة البناء علىٰ القبور، كأن يبني علىٰ القبر مسجدًا أو قبة، فهذه بدعة تقدح في الدين وتضعف الإيمان، لكن إذا بناها وهو لا يعتقد جواز الكفر بالله، ولم يقترن بذلك دعاء الميتين، والاستغاثة بهم، والنذر لهم، بل ظن أنه بفعله هذا يحترمهم ويقدرهم، فهذا العمل حينئذٍ ليس كفرًا، بل بدعة قادحة في الدِّين تضعف الإيمان وتنقصه، ووسيلة إلىٰ الشرك.

ومن أمثلة البدع: بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، حيث يحتفل بعض الناس في الثاني عشر من ربيع الأول بمولد النبي ﷺ، فهذا العمل بدعة، لم يفعله النبي ﷺ، ولا أصحابه، ولا خلفاؤه الراشدون، ولم يفعلها أهل القرن الثاني ولا الثالث، بل هذه بدعة محدثة.

أو الاحتفال بمولد البدوي، أو عبد القادر الجيلاني، أو غيرهما، فالاحتفال

بالموالد بدعة من البدع، ومنكر من المنكرات، التي تقدح في العقيدة؛ لأن الله ما أنزل بها من سلطان، وقد قال النبي ﷺ: «**وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»(١) رواه مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٢) متفق علىٰ صحته، أي: فهو مردود عليه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٣) خرجه مسلم في صحيحه.

وقال: «**إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(٤).

فالبدع من القوادح في الدِّين التي دون الكفر.

إذا لم يكن فيها كفر. أما إذا كان في الاحتفال بالمولد دعوة الرسول ﷺ والاستغاثة به، وطلبه النصر، صار شركًا بالله، وكذا دعاؤهم: يا رسول الله انصرنا، المدد المدد يا رسول الله،... الغوث الغوث، أو اعتقادهم أن الرسول ﷺ يعلم الغيب أو غيره، كاعتقاد بعض الشيعة في علي والحسن والحسين أنهم يعلمون الغيب، كل هذا شرك ورِدَّة عن الدين، سواء كان في المولد، أو في غير المولد.

ومثل هذا قول بعض الرافضة: إن أئمتهم الاثني عشر يعلمون الغيب، وهذا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (٤٥٨٩).
(٣) أخرجه مسلم (٤٥٩٠).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٠٩)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

كفر وضلال وردة عن الإسلام؛ لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

أما إذا كان الاحتفال بمجرد قراءة السيرة النبوية، وذكر ما جرىٰ في مولده وغزواته، فهذا بدعة في الدين تنقصه، ولكن لا تنقضه.

ومن البدع: ما يعتقده بعض الجهال في شهر صفر من أنه لا يسافر فيه، فيتشاءمون به، وهذا جهل وضلال.

فقد قال النبي ﷺ: «**لا عدوىٰ، ولا طيرة، ولا صفر، ولا هامة**»(١) متفق علىٰ صحته.

وزاد مسلم: «**ولا نوء ولا غول**»(٢)؛ لأن اعتقاد العدوىٰ والطيرة والتعلق بالأنواء، أو الغول، كل هذه من أمور الجاهلية، التي تقدح في الدين.

ومن زعم أن هناك عدوىٰ فهذا باطل، ولكن الله جعل المخالطة لبعض المرضىٰ قد تكون سببًا لوجود المرض في الصحيح، ولكن لا تُعدي بطبعها.

ولما سمع بعض العرب قول النبي ﷺ: «**لا عدوىٰ...**»، قال: يا رسول الله، الإبل تكون في الرمال كأنها الظباء، فإذا دخلها الأجرب، أجربها، قال ﷺ: «**فمن أعدىٰ الأول؟!**»(٣) أي: من الذي أنزل الجرب في الأول.

فالأمر بيد الله ﷻ إذا شاء أجربها بسبب هذا الجرب، وإن شاء لم يجربها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٥٩٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩٢٦، ٥٩٢٧، ٥٩٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٥٩١٩).

وقد قال ﷺ: «**لا يوردن ممرض علىٰ مُصِحّ**»(١)؛ يعني: لا توردوا الإبل المريضة علىٰ الصحيحة، بل تكون هذه علىٰ حدة، وهذه علىٰ حدة، وذلك من باب اتقاء الشر، والبعد عن أسبابه، وإلا فالأمور بيد الله، لا يُعدي شيء بطبعه إنما هو بيد الله: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

فالخلطة من أسباب وجود المرض، فلا تنبغي الخلطة، فالأجرب لا يخالط الصحيح، هكذا أمرنا الرسول ﷺ من باب الاتقاء، والحذر من أسباب الشر، لكن ليس المعنىٰ: أنه إذا خالط فإنه سيعدي، لا، قد يعدي وقد لا يعدي، والأمر بيد الله ﷻ؛ ولهذا قال ﷺ: «**فمن أعدىٰ الأول؟!**».

ومن هذا الباب قوله ﷺ: «فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد»(٢).

والمقصود: أن تشاؤم أهل الجاهلية بالعدوىٰ وبالتطير أو الهامة - وهي: روح الميت، يقولون: إنها تكون كأنها طائر حول قبره يتشاءمون بها - وهذا باطل لا أصل له، وروح الميت مرتهنة بعمله؛ إما في الجنة، أو النار.

والطِّيرة والتشاؤم بالمرئيات والسمعيات من عمل الجاهلية، حيث كانوا يتشاءمون إذا رأوا شيئًا لا يناسبهم مثل الغراب، أو الحمار الأسود، أو مقطوع الذنب، أو ما أشبه ذلك، فيتشاءمون به، هذا من جهلهم وضلالهم.

قال الله جل وعلا في الرد عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]، فالله بيده الضر والنفع، وبيده العطاء والمنع، والطيرة لا أصل لها، ولكنه شيء

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٥٩٢٢).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٧).

يجدونه في صدورهم، ولا حقيقة له، بل هو شيء باطل، ولهذا قال ﷺ: «**لا طيرة**»(١).

ولذا؛ يجب على المسلم إذا رأى ما يتشاءم به: ألَّا يرجع عن حاجته، فلو خرج ليسافر، وصادفه حمار غير مناسب، أو رجل غير مناسب، أو ما أشبه ذلك، فلا يرجع، بل يمضي في حاجته، ويتوكل على الله، فإن رجع فهذه هي الطيرة، والطيرة قادحة في العقيدة، ولكنها دون الشرك الأكبر، بل هي من الشرك الأصغر.

وهكذا سائر البدع، كلها من القوادح في العقيدة، لكنها دون الكفر، إن لم يصاحبها كفر.

فهذه البدع مثل: بدعة الموالد، والبناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها، ومثل صلاة الرغائب، هذه كلها بدع، والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، التي يحددونها بسبع وعشرين من رجب، هذه بدعة، ليس لها أصل، وبعض الناس يحتفل بليلة النصف من شعبان، ويعمل فيها أعمالًا يتقرب بها، وربما أحيا ليلها، أو صام نهارها يزعم أن هذا قربة، فهذا لا أصل له، والأحاديث فيه غير صحيحة، بل هو من البدع.

* **والجامع في هذا**: أن كل شيء من العبادات يحدثه الناس، ولم يأمر به الرسول ﷺ، ولم يفعله، ولم يقره فهو بدعة؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٢).

وقال: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٣)، ومسلم (٥٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (٤٥٨٩).

(٣) أخرجه مسلم (٤٥٩٠).

وكان يقول في خطبة الجمعة: «**وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»(١) يحذر الناس من البدع، ويدعوهم إلىٰ لزوم السنة ﷺ.

فالواجب علىٰ أهل الإسلام أن يلزموا الإسلام، ويستقيموا عليه، وفي هذا كفايتهم وكمالهم، فليسوا بحاجة إلىٰ بدع، يقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فالله أكمل الدِّين، وأتمه بحمده وفضله، فليس الناس بحاجة إلىٰ بدع يأتون بها.

وقد قال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**»(٢).

فليس الناس بحاجة إلىٰ بدع زيد وعمرو، بل يجب التمسك بما شرعه الله، والسير علىٰ منهج الله، والوقوف عند حدوده، وترك ما أحدثه الناس، كما قال الله ﷻ ذمًّا للبدع وأهلها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

* وفق الله الجميع لما فيه الخير، وأصلح أحوال المسلمين، ووفقهم للفقه في دينه، وجنبهم أسباب الزيغ والضلال والانحراف.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وأتباعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٩)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».



الرسالة الخامسة

فوائد مهمة تتعلق بالعقيدة(1)

(1) انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رحمه الله (٨/ ١١٩-١٤٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

❑ فهذه فوائد تتعلق بالعقيدة:

❑ الفائدة الأولى:

جميع الاعتقادات في النجوم، والبروج، والشهور، والأيام، والأماكن كلها باطلة إلا ما ثبت في الشرع المطهر.

ولا شك أن الاعتقادات في النجوم التي يتعاطاها الكهنة، والمنجمون، والسحرة، والرمالون، وغيرهم، كلها اعتقادات موروثة عن الجاهلية، والكفرة من العرب والعجم، وعباد النجوم، ومن عباد الأوثان والأصنام، ومن غيرهم، فإن الشياطين من الإنس والجن يدخلون علىٰ الناس اعتقادات فاسدة إذا رأت قلوبهم خالية من العلم النافع، والبصيرة النافذة، والإيمان الصادق، فإنها تدس عليهم علومًا فاسدة، واعتقادات خاطئة، فيتقبل أولئك هذه الاعتقادات الفاسدة، وهذه الأعمال السيئة؛ لأن لديهم قلوبًا فارغة ليس فيها حصانة، وليس عندهم علم يردها ويدفعها؛ كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوىٰ ... فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

فإن القلوب الخالية من العلوم النافعة تتقبل كل شيء، ويعلق بها كل باطل، إلا

من رحم الله، فإذا انتشرت العلوم النافعة في البلد، أو في القبيلة، أو في الدولة، وكثر علماء الخير والهدىٰ والصلاح، وانتشرت العلوم التي جاء بها كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، طفئت نار هؤلاء الشياطين، وخمدت حركاتهم، وانتقلوا إلىٰ مكان آخر يجدون فيه الفرصة؛ لنشر ما عندهم من الباطل، وهذا هو الواقع في كل زمان ومكان، كلما غلب الجهل، كثرت الاعتقادات الفاسدة، والأعمال الضارة المخالفة لشرع الله عَزَّوَجَلَّ.

وكلما انتشر العلم الشرعي بين الناس في أي مكان، أو في أي قرية، ارتحل عنها الجهل والبلاء، وارتحل عنها من يدعو إلىٰ الاعتقادات الفاسدة، والظنون الباطلة، والأعمال الشركية... إلىٰ غير ذلك.

وبهذا يعلم أن الناس في أشد الضرورة والحاجة إلىٰ العلم النافع؛ العلم بالله عَزَّوَجَلَّ، وبشرعه وبدينه، وبكتابه، وبسنة نبيه ﷺ، وأن التعلق بالنجوم والبروج، وغيرهما من المخلوقات أقسام:

منها: ما هو كفر أكبر بلا شبهة، ولا خلاف بين أهل العلم، وهو: أن يعتقد أن هذه النجوم والبروج – وهي اثنا عشر برجًا –، أو الشمس، أو القمر، أو أحدًا من الناس أن له التصرف في الكون، أو أنه يدبر بعض الكون، فهذا شرك أكبر، وكفر أعظم، نسأل الله العافية؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ مصرف الكائنات، ومدبر الأمور، لا مدبر سواه عَزَّوَجَلَّ، ولا خالق غيره، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

فهو ﷻ مدبر الأمور، ومصرف الكائنات، وليس معه شريك في ذلك، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا ولي، ولا غير ذلك، ومن زعم أن الله تعالىٰ شريكًا في تدبير الأمور العلوية، أو السفلية فقد كفر إجماعًا.

فهو سبحانه الواحد الأحد، الخالق الرازق، ليس له شريك في تدبير الأمور، ولا في خلق الأشياء، ولا شريك له في العبادة، وهو المتصرف في عباده ﷻ كيف يشاء، كما أنه ليس له شريك في أسمائه، ولا في صفاته، وله الكمال المطلق في أسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا جل وعلا، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١- ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورىٰ: ١١].

❑ الفائدة الثانية:

كل من يعتقد أن لبعض النجوم تأثيرًا في الحوادث والأحوال الفلكية من سير النجوم، والشمس، والقمر، وأن لها تأثيرًا في هذه المخلوقات؛ في تدبيرها وتصريف شئونها، وأن هذه المخلوقات لها تصرف في الكون بإذن الله، ويزعم أن هذا التصرف بإذن الله، وأنها تدبر كذا وتدبر كذا، وهذا أيضًا باطل وكفر وضلال.

كما يعتقد هذا عباد القبور، فإن عباد القبور، وعباد المشايخ، وعباد الصالحين،

وعباد الأصنام يعتقدون: أن الله جعل لها شيئًا من التصرف في خلقه، وأن لبعض الأولياء تصرفًا في الكون يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وهذا باطل أيضًا، وجهل وكفر وضلال - نسأل الله العافية -، بل التصرف لله وحده، وإنما جعل للعباد أشياء محدودة، كإعطاء الله عَزَّوَجَلَّ الرجل ما يعينه علىٰ أسباب الرزق؛ كاليد، والعقل، والسمع، والبصر، وإعطائه ما يعينه علىٰ أسباب النسل والذرية؛ من النكاح، وجعل فيه الشهوة، والميل إلىٰ النساء، وجعل للشمس أشياء محدودة من طبعها بسبب حرارتها، ولها آثار في النباتات، هذه الأشياء كلها من خلق الله سبحانه؛ كطبيعة القمر جعله الله تعالىٰ سراجًا منيرًا، ويعرف به عدد الشهور والأعوام والحساب إلىٰ غير ذلك، وكطبيعة الماء، وطبيعة النار، وغيرهما.

كل مخلوق جعل الله له طبيعة تخصه، ليست متعلقة بالكائنات كلها، أما من ظن أن لبعض المخلوقات تصرفًا في الكائنات، أو أن لها تدبيرًا في الكائنات؛ من صنم، أو ولي، أو نبي، أو نجم، أو غير ذلك، فهذا كفر وضلال، نسأل الله العافية.

❑ الفائدة الثالثة:

تتعلق بعلم التسيير لا التأثير:

فالتسيير للنجوم والكواكب يستدل به علىٰ: أوقات البذر، وأوقات غرس الأشجار، والاستدلال علىٰ: جهة القبلة، وعلىٰ دخول أوقات الصلاة، وعلىٰ شبه ذلك، وتمييز الفصول بعضها من بعض، وتمييز الأوقات بعضها من بعض، وهذا يسمىٰ بـ: علم التسيير، ولا بأس به، وهو معروف، فإن الله جعل لكل شيء وقتًا مناسبًا، وجعل سير الشمس والقمر والنجوم من الدلائل علىٰ هذه الأوقات، التي

يحتاج العباد إلىٰ معرفة خصائصها، وما ينتفع به فيها، كما يستدل بالنجوم أيضًا علىٰ البلدان، وعلىٰ مواضع المياه، التي يحتاجها الناس ويريدونها... إلىٰ غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقال سبحانه: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل: ١٦]، فالله جعل لهذه النجوم في سيرها - خصوصًا النجوم المعروفة والنجوم الثابتة - عملًا يستدل بها علىٰ أشياء كثيرة من أماكن البلاد وجهاتها، وجهة القبلة، وما أشبه ذلك؛ حتىٰ يُهتدىٰ بها، ويُسار علىٰ ضوئها في تلك الأماكن الخافية، كل ذلك جعله سبحانه لمصلحة العباد.

ومن هذا الباب ما جاء في الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ لما خطب الناس في يوم مطير، قال لهم عليه الصلاة والسلام: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب**»(١).

فهذا الذي يظن أو يعتقد: أن المطر من الكواكب، وأن لها تأثيرًا فيه، فهذا هو الذي أنكره الله عز وجل، وبيَّن الرسول ﷺ إنكاره، فإذا قال: مطرنا بنوء كذا، أو بنجم كذا، هو كافر بالله، مؤمن بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بالله، كافر بالكوكب.

فتبين أن الكواكب ليس لها تأثير في المطر، ولا في النبات، بل الله تعالى هو الذي

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٢٤٠).

ينزل المطر، ويخرج النبات، وينفع عباده بما يشاء، وإنما جعل الله عَزَّوَجَلَّ غيابها وطلوعها علاماتَ يُهتدىٰ بها في البر والبحر، وسببًا لصلاح بعض النبات ونموه، فإن الله تعالىٰ جعل بعض المخلوقات سببًا لبعض المخلوقات الأخرىٰ، وهو الخالق للجميع، أما إذا أراد القائل بقوله: مطرنا بنوء كذا، بأنه وقت وظرف المطر الذي نزل فيه بإذن الله، مثل أن يقول: نزول المطر في وقت الثريا، في وقت الوسمي، ينبت به بإذن الله كذا وكذا، فيخبر بالأوقات التي جرت العادة بوجود هذه الأشياء فيها، فهذا لا بأس به، لكن يجب أن يأتي بـ (في) الدالة علىٰ الظرفية، فيقول: مطرنا في الربيع، في الشتاء، في وقت ظهور النجم الفلاني، وما أشبه ذلك من باب الخبر عن الأوقات، ولا يجوز أن يقول: مطرنا بنوء كذا؛ لإنكار الله سبحانه ذلك، وحكمه علىٰ قائله بأنه كافر به، ولأن ذلك يوهم أن المطر منها؛ فلهذا جاء الحديث الصحيح بالنهي عن ذلك.

ولهذا فرق أهل العلم بين مطرنا بنوء كذا، وبين مطرنا في كذا وكذا في وقت النجم الفلاني، من باب الخبر عن الأوقات، التي جرىٰ فيها نزول المطر، أو جرىٰ فيها النبات الفلاني، أو الثمرة الفلانية التي جرت العادة أنها توجد في أوقات معينة، فهذا لا بأس به كما تقدم، وبه يعلم الفرق بين الجائز والمحرم. والله ولي التوفيق.

❑ الفائدة الرابعة:

تتعلق بالسحر والسحرة: فنقول: لا شك أن تصديق السحرة والمنجمين والرمالين، ونحوهم، وسؤالهم لا يجوز؛ لأنهم يدعون علم الغيب بأشياء يتخذونها، ويلبسون بها علىٰ الناس؛ من الخط في الأرض، أو ضرب الحصىٰ، أو قراءة الكف، أو السؤال عن برج فلان وفلان، وأنه سيموت له كذا وكذا، أو يذكرون له اسم أمه وأبيه، وأنه إذا كان في وقت كذا كان كذا، وكل هذا باطل، وهو من أعمال المنجمين

والسحرة والكهان والمشعوذين، فلا يجوز تصديقهم ولا سؤالهم؛ لأن الرسول ﷺ نهىٰ عن سؤالهم وتصديقهم، «فقد ثبت أن معاوية بن الحكم جاء إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن عندنا كهانًا. قال: «**لا تأتوهم**». قال: وإن منا أُناسًا يتطيرون. قال: «**ذلك شيء يجده أحدكم في صدره فلا يصدنكم**»[(١)].

وقال ﷺ: «**من أتىٰ عرافًا فسأله عن شيء؛ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[(٢)]. خرجه مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ، وقال ﷺ: «**من أتىٰ عرافًا، أو كاهنًا، فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**الطيرة شرك**». قالها ثلاثًا[(٤)].

فبين عليه الصلاة والسلام أن هذه الأمور من أعمال الجاهلية، التي يجب اجتنابها، وطرحها، والحذر منها، وألَّا يؤتىٰ أهلها، ولا يسألوا ولا يصدقوا؛ لأن إتيانهم وسؤالهم فيه رفع لشأنهم، ويسبب شيوع أمرهم في البلاد، وتصديق الناس لهم فيما يقولون من الأمور الباطلة، التي لا أساس لها، ويسبب بعضها وقوع الشرك، وأنواعًا من الباطل والمنكرات، وقد أخبر ﷺ: أن الشياطين تسترق السمع من السماء، فيسمعون الكلمة من السماء مما تتحدث به الملائكة، فيكذبون معها مائة كذبة، فيصدقهم الناس بكذبهم؛ بسبب تلك الكلمة التي استرقوها.

فيجب علىٰ ولاة الأمور الإنكار عليهم، وعقابهم بما يستحقون شرعًا، وأعظم

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٢٧).
(٢) أخرجه مسلم (٥٩٥٧).
(٣) أخرجه أحمد (٢٠/ ٣١٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٣٩).
(٤) أخرجه أبو داود (٣٩١٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٦٠).

من ذلك من ادعىٰ علم الغيب فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل كافرًا، ولا يغسل، ولا يصلىٰ عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه، كما قال عز وجل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] الآية من سورة النمل.

ولما سأل جبريل النبي ﷺ عن الساعة، قال: «**ما المسئول بأعلم من السائل**»(١).

والمعنىٰ: أني لا أعلمها أنا ولا أنت، قال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧) قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨)﴾ [الأعراف: ١٨٧، ١٨٨] الآية.

وقال سبحانه في سورة النمل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] الآية، وقال سبحانه في سورة النازعات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤)﴾ [النازعات: ٤٢- ٤٤]. والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

وهكذا السحرة يدعون علم الغيب، ومن شأنهم التلبيس علىٰ الناس، فالواجب قتلهم من غير استتابة علىٰ الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٠٢).

وقد وجد في عهد عمر رضي الله عنه ثلاثة من السحرة، وسئل عنهم، فأمر بقتلهم جميعًا؛ لأن السحرة ضررهم عظيم مع دعواهم علم الغيب، فيضرون الناس كثيرًا.

ومن أعمالهم الخبيثة: الصرف، والعطف، والتفريق بين الزوجين والأقارب، بما يفعلون من أعمال السحر وأنواعه الذي يضر الجميع، ويبغض هذا لهذا، وهذا لهذا، مما يتلقونه من الجن والشياطين ويخدمونهم به، فالجن تخدم الإنس، والإنس تخدم الجن؛ فالجن تخدم الإنس بإخبارهم ببعض الحوادث في البلدان القريبة والبعيدة، وتعينهم على ظلم الناس، والإنس تخدم الجن بعبادتهم من دون الله، ودعائهم، والنذر لهم، والذبح لهم، ونحو ذلك.

وهذا هو استمتاع بعضهم ببعض المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ﴾ [الأنعام: ١٢٨]

فعلىٰ ولاة الأمور؛ من الأمراء والعلماء أن يمنعوا الشرور، التي تقع في بعض البلدان من السحرة والمنجمين والكهنة، وأن يجعل في الناس من يسأل عنه؛ حتىٰ يقضىٰ عليهم، فالذي يستحق القتل يقتل، والذي يستحق الحبس يحبس؛ حتىٰ يسلم الناس من شرهم، ولا يجوز التستر عليهم؛ لما يتعلق بوجودهم من الخطر العظيم والشر الكثير، وقد يعالج بعضهم الناس بالطب العربي وهو يكذب عليهم؛ ليعالجهم بالشعوذة وخدمة الجن، وعبادة الجن من دون الله فينجح مرة ويفشل مائة مرة، وهذا كله من التدليس والتلبيس علىٰ الناس، وإدخال الشر عليهم، فبعضهم يقول: هات اسم أمك، هات كذا، هات كذا، وأنا أعرف مرضك وأعطيك الدواء المناسب،

فيأخذون الأموال الكثيرة، ثم لا يفيدونهم بشيء، ولو أفادوهم، لم يكن ذلك مسوغًا للمجيء إليهم، وسؤالهم، ولا تصديقهم، فالشيطان قد يعرف دواء المرض، لكن خطره وشره أخطر وأعظم.

فالحاصل: أن الاستفادة منهم في بعض الأحيان لا تسوغ المجيء إليهم، ولا سؤالهم، ولو زعم بعض الناس أنهم يفيدونهم، وأنهم يعالجون المرض بالطب الشعبي ما داموا قد عرفوا أنهم كهان، أو سحرة، أو مشعوذون، فقد قال الرسول ﷺ: **«ليس منا من تطير أو تطير له، أو تَكهن أو تُكهن له، أو سَحر أو سُحر له»**.

وقد حذر الرسول ﷺ من هؤلاء، وكانوا موجودين في الجاهلية، فقد كان أهل الجاهلية يتحاكمون إليهم، ويسألونهم عن علم الغيب؛ لجهلهم وضلالهم، وقد أغنىٰ الله تعالىٰ المسلمين عن ذلك بما شرع الله لهم من الأحكام، وبما أباح لهم من الرقية الشرعية، والأدعية، والأدوية المباحة، وقد بيَّن كتاب الله سبحانه، وسنة نبيه ﷺ ذلك، وجعل الله لهم الشرع حاكمًا بين الناس يرجعون إليه في كل شيء، فلا حاجة لهم إلىٰ الكهنة، ولا إلىٰ المشعوذين، والعرافين، والسحرة، الذين يتعلمون أشياء يضرون بها الناس، ويفرقون بها بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به من أحد، إلا بإذن الله جل وعلا، كما قال سبحانه: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فهذه الأشياء السحرية قد تقع، لكن بإذن الله ومشيئته ﷻ، لا يقع في ملكه ما لا

يريد جل وعلا، وإن كانت هذه الأشياء تجري بمشيئة الله وقدره، فيجب أن نعالج قدر الله بقدره، ويجب أن نحارب كل الشرك والمعاصي، مع العلم بأنه لا يقع شيء منها إلا بمشيئته جل وعلا، ولكنه سبحانه شرع لنا أن نحاربها، وأن نمتنع منها، وأن تقام فيها الحدود الشرعية.

فالواجب علىٰ العلماء، وولاة الأمور أن يحاربوا ما حرم الله ورسوله بما شرع الله من إقامة الحدود، والتعزيرات بما يقضي علىٰ وجود المنكرات والكفر والضلال.

وهكذا الطيرة: مثل أن يتطير الإنسان من طائر، أو حمار، أو شهر كصفر وغيره، أو يوم كيوم الأربعاء وغيره، أو من إنسان، والطيرة هي التي تردك عن حاجتك، وهي من الشرك الأصغر، فيجب الحذر من ذلك، وهكذا إذا تشاءم الإنسان من طائر ينعق كالغراب، أو من البومة، فإذا رآها ذلك اليوم، قال: لا أسافر، أو إذا نزلت في بيته، تشاءم وظن أنه سيحدث سوء في البيت، وهذا من عمل الجاهلية؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**إذا رأىٰ أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»(١)، وفي لفظ آخر: «**اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»(٢).

فالمسلم يعتصم بالله ويتوكل عليه، ويعمل بالأسباب الشرعية، ولا يتأثر بهذه الأشياء، ولا يتعلق بها، ولا ترده عن حاجته، فإذا ردته عن حاجته، وقع في الشرك وشابه أهل الجاهلية، بل علىٰ المسلم أن يتوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٢١)، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع (١٩٩).
(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠)، وصححه العلامة الألباني في «إصلاح المساجد» (ص١١٦).

❑ **والتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ يتضمن أمرين:**

أحدهما: الاعتماد على الله تعالى، والإيمان بأنه لا يقع شيء في الوجود إلا بمشيئته وقدره.

الثاني: الأخذ بالأسباب الشرعية والمباحة في علاج ما ينزل به من الحوادث، فيجمع بين الأمرين: الإيمان بالقدر، وفعل الأسباب.

فالمسلم يعلم أن المرض بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن يعالجه بالأسباب الشرعية والأدوية المباحة، كما يعالج الظمأ بالشرب، ويعالج الجوع بالأكل، ويعالج الخوف بأسباب الأمن، ويعالج أخطار السرقة بإغلاق بابه، وما أشبه ذلك.

وكذلك في البرد يستدفئ بالنار وبالملابس، وهو مع هذا يؤمن بأن كل شيء بيد الله جل وعلا؛ ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[1]. أخرجه مسلم في الصحيح.

فالمسلم يعالج مريضه ويأخذ بالأسباب، فإذا مات له ميت، احتسب وقال: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء فعل**»، ولا يقول: لو أني سافرت إلى بلاد كذا لكان كذا، وكذلك عليه أن يبيع ويشتري ويأخذ بالأسباب، فإذا خسر، فليقل: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء فعل**»، ولا يقول: لو أني بعت هذه البضاعة في مكان كذا لكان كذا، انتهى الأمر، وما كتبه الله قد وقع فلا اعتراض على قدر الله،

---

(١) أخرجه مسلم (٦٩٤٥).

ولكن الأخذ بالأسباب مشروع، فانظر وتأمل إذا كان البيع والشراء في المحل الفلاني أحسن فاعمل بذلك أولًا، وأما بعد وقوع الحادث أو الخسارة في البيع، فقل: «**قدر الله وما شاء فعل**»(١)، ودع كلمة (لو)، فإنها تفتح عمل الشيطان، كما قال النبي ﷺ.

والله ولي التوفيق. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.

❑ الفائدة الخامسة:

بيان وجوب تطبيق السنة المطهرة ومكانتها في الإسلام:

لا شك أن السنة المطهرة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، وأن مكانتها في الإسلام الصدارة بعد كتاب الله بإجماع أهل العلم قاطبة، وهي حجة قائمة مستقلة علىٰ جميع الأمة، من جحدها، أو أنكرها، أو زعم أنه يجوز الإعراض عنها والاكتفاء بالقرآن فقط فقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا، وكفر كفرًا أكبر، وارتد عن الإسلام بهذا المقال، فإنه بهذا المقال وبهذا الاعتقاد يكون قد كذب الله ورسوله، وأنكر ما أمر الله به ورسوله، وجحد أصلًا عظيمًا من أصول الإسلام قد أمر الله بالرجوع إليه، والاعتماد عليه، والأخذ به، وأنكر إجماع أهل العلم وكذب به وجحده.

وقد أجمع علماء الإسلام علىٰ أن الأصول المجمع عليها ثلاثة: الأصل الأول: كتاب الله، والأصل الثاني: سُنَّة رسول الله عليه الصلاة والسلام، والأصل الثالث: إجماع أهل العلم.

وتنازع أهل العلم في أمور أخرىٰ أهمها القياس، والجمهور علىٰ أنه أصل رابع إذا استوفىٰ شروطه المعتبرة.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٩٤٥).

أمَّا السنة فلا نزاع ولا خلاف علىٰ أنها أصل مستقل، وأنها هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، وأن الواجب علىٰ جميع المسلمين، بل علىٰ جميع الأمة: الأخذ بها، والاعتماد عليها، والاحتجاج بها إذا صح السند عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وقد دل علىٰ هذا المعنىٰ آيات كثيرات، وأحاديث صحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما دل علىٰ هذا المعنىٰ إجماع أهل العلم قاطبة علىٰ وجوب الأخذ بها، والإنكار علىٰ من أعرض عنها، أو خالفها، وقد نبغت نابغة في صدر الإسلام أنكرت السنة: وهم الخوارج، فإن الخوارج كفَّروا كثيرًا من الصحابة وغيرهم، وصاروا لا يعتمدون بزعمهم إلا علىٰ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ لسوء ظنهم بأصحاب رسول الله ﷺ، وتابعتهم الرافضة، فقالوا: لا حجة إلا فيما جاء عن طريق أهل البيت فقط، وما سوىٰ ذلك لا حجة فيه.

ونبغت نابغة بعد ذلك - ولا يزال هذا القول يذكر ما بين وقت وآخر - وتسمىٰ هذه النابغة الأخيرة: (القرامطة)، ويزعمون أنهم أهل القرآن، وأنهم يحتجون بالقرآن فقط، وأن السنة لا يحتج بها؛ لأنها إنما كتبت بعد النبي ﷺ بمدة طويلة، ولأن الإنسان قد ينسىٰ وقد يغلط، ولأن الكتب قد يقع فيها الغلط... إلىٰ غير ذلك مما قالوه من الترهات والخرافات، والآراء الفاسدة، وزعموا أنهم بذلك يحتاطون لدينهم، فلا يأخذون إلا بالقرآن فقط، وقد ضلوا عن سواء السبيل، وكذبوا وكفروا بذلك كفرًا أكبر بواحًا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، واتباع ما جاء به، ولو كان رسوله ﷺ لا يتبع ولا يطاع، لم يكن للأوامر قيمة، وقد أمر أن تبلغ سنته، وكان إذا خطب، أمر أن تبلغ سنته، فدل ذلك: علىٰ أن سنته ﷺ واجبة

الاتباع، وأن طاعته واجبة على جميع الأمة، كما تجب طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ومن تدبر القرآن العظيم، وجد ذلك واضحًا، قال تعالى في كتابه الكريم في سورة آل عمران: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣١، ١٣٢]، فقرن طاعة الرسول بطاعته، ثم علق الرحمة بطاعة الله ورسوله، وقال في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

فأمر بطاعة الله وطاعة رسوله، وكرر الفعل في ذلك، وأمر بطاعة أولي الأمر إذا كان ما أمروا به لا يخالف أمر الله ورسوله، ثم نبه أن العمدة في ذلك على طاعة الله ورسوله، فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ولم يقل: إلى أولي الأمر منكم، فدل ذلك: على أن الرد في مسائل النزاع والخلاف إنما يكون لله ولرسوله.

قال العلماء: معنى إلى الله: أي إلى كتاب الله، ومعنى الرد إلى الرسول: أي إلى الرسول في حياته، ولسنته بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، فعلم بذلك: أن سنته مستقلة، وأنها أصل مستقل من أصول الإسلام، وقال جل وعلا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ...﴾ [الأعراف: ١٥٧] إلى أن قال سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فجعل الفلاح لمن اتبعه عليه الصلاة والسلام دون غيره، فدل ذلك على أن من أنكر سنته ولم يتبعه، فإنه ليس بمفلح وليس من المفلحين، ثم قال بعدها: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فجعل الهداية باتباعه عليه الصلاة والسلام، وقال عَزَّوَجَلَّ في آية أخرىٰ من سورة النور: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]، وقال في سورة النور أيضًا: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: ٥٦]، وقال في آخر سورة النور: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]، وقال جل وعلا في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

وبذلك يعلم أن المخالف لأمر النبي ﷺ علىٰ خطر عظيم من أن تصيبه فتنة بالزيغ والشرك والضلال، أو عذاب أليم، وقال عَزَّوَجَلَّ في سورة الحشر: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

وهذه الآيات وما جاء في معناها كلها دالة علىٰ وجوب اتباعه، وطاعته عليه الصلاة والسلام، وأن الهداية والرحمة والسعادة والعاقبة الحميدة كلها باتباعه، وطاعته عليه الصلاة والسلام، فمن أنكر السنة، فقد أنكر كتاب الله، ومن قال: إنه اتبع كتاب الله من دون السنة، فقد كذب وغلط وكفر؛ لأن القرآن أمر باتباع النبي ﷺ، فمن لم يتبعه، فإنه لم يعمل بكتاب الله، ولم يؤمن بكتاب الله؛ إذ كتاب الله أمر بطاعة الرسول ﷺ، وأمر باتباعه، وحذر من مخالفته، فمن زعم أنه يأخذ بالقرآن، ويتبع القرآن دون السنة فقد كذب؛ لأن السنة جزء من القرآن، فطاعة الرسول ﷺ جزء من

القرآن، ودل علىٰ الأخذ بها القرآن، وأمر بالأخذ بها القرآن، فلا يمكن أن ينفك هذا عن هذا، ولا يمكن أن يكون الإنسان متبعًا للقرآن بدون اتباع السنة، ولا يكون متبعًا للسنة دون اتباع القرآن، فهما متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر.

ومما جاء في السنة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ما رواه الشيخان في الصحيحين، من حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصىٰ الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصىٰ الأمير فقد عصاني**»(١).

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**». قيل: يا رسول الله، من يأبىٰ؟ قال: «**من أطاعني؛ دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**»(٢). وهذا واضح في أن من عصىٰ الرسول فقد عصىٰ الله، ومن عصىٰ الله فقد أبىٰ دخول الجنة.

وفي سنن أبي داود، وصحيح الحاكم بإسناد جيد، عن المقدام بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**ألا وإني أُوتيت الكتاب ومثله معه**». المراد بالكتاب: هو القرآن، ومثله معه: أي: السنة - الوحي الثاني- «**ألا يوشك رجل شبعان متكئا علىٰ أريكته يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، ما وجدنا فيه من حلال حللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه**»(٣). وفي لفظ: «**يوشك رجل شبعان علىٰ أريكته، يحدث بالأمر من أمري مما أمرت به ونهيت عنه، فيقول:**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (٤٨٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٦)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٦٣).

بيننا وبينكم كتاب الله، ما وجدنا فيه اتبعناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»[1]. والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة.

فالواجب علىٰ جميع الأمة أن تعظم سنة رسول الله ﷺ، وأن تعرف قدرها، وأن تأخذ بها، وتسير عليها، فهي الشارحة والمفسرة لكتاب الله عز وجل، والدالة علىٰ ما قد يخفىٰ من كتاب الله، والمقيدة لما قد يطلق من كتاب الله، المخصصة لما قد يعم من كتاب الله، ومن تدبر كتاب الله وتدبر السُّنة؛ عرف ذلك؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]. فهو المبين للناس ما نُزِّل عليهم – عليه الصلاة والسلام –، فإذا كانت سنته غير معتبرة ولا يحتج بها، فكيف يبين للناس دينهم وكتاب ربهم؟! هذا من أبطل الباطل.

فعلم بذلك أنه ﷺ هو المبين لكتاب الله، كما قاله الله، وأنه المفسر لما قد يخفىٰ من كتاب الله، وقال سبحانه في سورة النحل: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤]، فبين جل وعلا أنه أنزل الكتاب عليه؛ ليبين للناس ما اختلفوا فيه، فإذا كانت سنته لا تبين للناس، ولا يحتج بها، بطل هذا المعنىٰ، فهو ﷺ يبين أنه هو الذي يبين للناس ما نزل إليهم، ويفصل النزاع بين الناس فيما اختلفوا فيه، فدل ذلك علىٰ أن سنته لازمة الاتباع وواجبة الاتباع، وليس هذا خاصًا بأهل زمانه وصحابته رضي الله عنهم، بل هو لهم ولمن يجيء بعدهم إلىٰ يوم القيامة، فإن الشريعة شريعة لزمانه ولمن بعد زمانه، إلىٰ

---

(١) أخرجه الدارمي (٥٨٦).

يوم القيامة، فهو رسول الله إلىٰ الناس عامة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فهو رسول الله إلىٰ جميع العالم: الجن والإنس، العرب والعجم، الأسود والأبيض، الغني والفقير، الحكام والمحكومين إلىٰ يوم القيامة، ليس بعده نبي، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام، فوجب أن تكون سنته موضحة لكتاب الله، وشارحة لكتاب الله، ودالة علىٰ ما قد يخفىٰ من كتاب الله، وسنته جاءت بأحكام لم يأت بها كتاب الله، جاءت بأحكام مستقلة شرعها الله عَزَّوَجَلَّ لم تذكر في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، من ذلك تفصيل الصلوات، والزكاة، وتفصيل أحكام الزكاة، وتفصيل أحكام الرضاع، فليس في كتاب الله إلا عن الأمهات والأخوات من الرضاع، وجاءت السنة ببقية المحرمات بالرضاع، فقال الرسول ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[(١)]، وجاءت السنة بحكم مستقل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، وجاءت بأحكام أخرىٰ مستقلة لم تذكر في كتاب الله في أشياء كثيرة: في الجنايات، والديات، والنفقات، وأحكام الزكاة، والحج... إلىٰ غير ذلك.

ولما قال بعض الناس في مجلس عمران بن حصين رضي الله تعالىٰ عنه: دعنا من الحديث وحدثنا عن كتاب الله، غضب عمران رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقال: «لولا السنة كيف

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (٣٦٥٧).

نعرف أن الظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع، والفجر ركعتان؟!

فالسنة بينت تفاصيل الصلاة، وتفاصيل الأحكام، ولم يزل الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلىٰ السنة ويتحاكمون إليها، ويحتجون بها، ولما ارتد من ارتد من العرب، قام الصديق رضي الله عنه، فدعا إلىٰ جهادهم، توقف عمر في ذلك وقال: كيف نقاتلهم؟! وقد قال النبي ﷺ: «**أُمرت أن أُقاتل الناس؛ حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»[1]؟! قال الصديق رضي الله عنه: أليست الزكاة من حقها- من حق لا إله إلا الله - والله لو منعوني عناقًا - أو قال: عقالًا - كانوا يؤدونه إلىٰ رسول الله لقاتلتهم علىٰ منعه، فقال عمر: فما هو إلا أن عرفت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق، ثم وافق المسلمون ووافق الصحابة كلهم، واجتمع رأيهم علىٰ قتال المرتدين بأمر الله ورسوله.

ولما جاءت الجدة إلىٰ الصديق رضي الله عنه تسأل، قال: ما أعلم لك شيئًا في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولكن سوف أسأل الناس، فسأل الناس، فاجتمع رأيهم أن رسول الله ﷺ قضىٰ لها بالسدس عند عدم الأم، فقضىٰ لها بالسدس رضي الله عنه وأرضاه.

وهكذا عثمان رضي الله عنه أيضًا، لما أشكل عليه حكم المعتدة من الوفاة، هل تكون في بيت زوجها، أو تنتقل إلىٰ أهلها؟ فشهدت عنده فريعة بنت مالك أخت أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ أمرها أن تعتد في بيتها، فقضىٰ بذلك عثمان.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (١٣٣).

ولما سمع ابن عباس بعض الناس ينكر عليه الفتوىٰ بالمتعة - أي متعة الحج - ويحتج عليه بقول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنهما يريان إفراد الحج، قال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء؛ أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

ولما ذكر للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ جماعة يتركون الحديث ويذهبون إلىٰ رأي سفيان الثوري، ويسألونه عما لديه وعما يقول، قال: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته عن رسول الله يذهبون إلىٰ رأي سفيان، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

ولما ذكر عند أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه رجل يدعو إلىٰ القرآن، وإلىٰ ترك السنة، قال: (دعوه فإنه ضالٌّ).

والمقصود: أن السلف الصالح عرفوا هذا الأمر، ونبغت عندهم نوابغ؛ بسبب الخوارج في هذا الباب، فاشتد إنكارهم عليهم، وضللوهم، مع أنه إنكار له شبهة بالنسبة إلىٰ الخوارج، وما اعتقدوه في بعض الصحابة رضي الله عنهم.

أما هؤلاء المتأخرون المنكرون للسنة فقد أتوا منكرًا عظيمًا، وبلاءً كبيرًا، ومعصية عظيمة، حيث قالوا: إن السنة لا يحتج بها، وطعنوا فيها وفي رواتها وفي كتبها، وسار علىٰ هذا المنهج، وأعلنه كثير من الناس في مصر وفي غيرها، وسموا أنفسهم بالقرآنيين، وقد جهلوا ما قاله علماء السنة، فقد احتاطوا كثيرًا للسنة تلقوها أولًا عن الصحابة حفظًا ودرسوها، وحفظوها حفظًا كاملًا، حفظًا دقيقًا بعناية تامة، ونقلوها إلىٰ من بعدهم، ثم ألف العلماء في القرن الثاني، وفي القرن الثالث، وقد كثر ذلك في

القرن الثالث، فألفوا الكتب وجمعوا الأحاديث، حرصًا علىٰ السنة، وحفظها وصيانتها، فانتقلت من الصدور إلىٰ الكتب المحفوظة المتداولة المتناقلة، التي لا ريب فيها ولا شك، ثم نقبوا عن الرجال وعرفوا ثقتهم من ضعيفهم، من سيئ الحفظ منهم، حتىٰ حرروا ذلك أتم تحرير، وبينوا من يصلح للرواية ومن لا يصلح للرواية، ومن يحتج به، ومن لا يحتج به.

واعتنوا بما قد وقع من بعض الناس من أوهام وأغلاط، وعرفوا الكذابين والوضاعين، فألفوا فيهم وأوضحوا أسماءهم، فأيد الله ﷻ بهم السنة، وأقام بهم الحجة، وقطع بهم المعذرة، وزال تلبيس الملبسين، وانكشف ضلال الضالين، وبقيت السنة بحمد الله جلية وواضحة لا شبهة فيها، ولا غبار عليها، وكان الأئمة يعظمون ذلك كثيرًا، وإذا رأوا من أحد تساهلًا بالسنة، أو إعراضًا، أنكروا عليه، حدث ذات يوم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بقول النبي ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»(١). فقال بعض أبنائه: والله لنمنعهن – عن اجتهاد منه وخوف من تساهل النساء في ذلك وليس قصده إنكار السنة – فأقبل عليه عبد الله وسبه سبًّا سيئًا، وقال: أقول: قال رسول الله، وتقول: والله لنمنعهن؟!

ورأىٰ عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه بعض أقاربه يخذف بالحصىٰ، فقال له: «نهىٰ رسول الله ﷺ عن الخذف، وقال: **إنه لا يصيد صيدًا ولا ينكأ عدوًّا**»(٢)، ثم رآه في وقت آخر يخذف، فقال: أقول لك: إن رسول الله نهىٰ عن هذا، ثم تخذف ؟! لا أكلمك أبدًا.

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٩٠٠)، ومسلم (١٠١٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢)، وصححه العلامة الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

فالصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم كانوا يعظمون هذا الأمر جدًّا، ويحذرون الناس من التساهل بالسنة، أو الإعراض عنها، أو الإنكار لها بأي رأي من الآراء، أو اجتهاد من الاجتهادات، وهكذا علماء السنة بعدهم.

قال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في هذا المعنىٰ**: «إذا جاء الحديث عن رسول الله فعلىٰ العين والرأس، وإذا جاء عن الصحابة فعلىٰ العين والرأس، وإذا جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال».

وقال مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ما منا إلا راد، ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر، يعني: رسول الله عليه الصلاة والسلام».

وقال أيضًا: «لايصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها: وهو اتباع الكتاب والسنة».

وقال الشافعي رحمه الله تعالىٰ: «إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا، ثم رأيتموني خالفته، فاعلموا أن عقلي قد ذهب. وفي لفظ آخر قال: إذا جاء الحديث عن رسول الله وقولي يخالفه، فاضربوا بقولي الحائط».

وقال أحمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكًا ولا الشافعي، وخذوا من حيث أخذنا.

وكلام أهل العلم في هذا كثير، والأمر في ذلك واضح وجلي، وقد تكلم أهل العلم في رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هذا المقام كلامًا كثيرًا. كأبي العباس ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير رحمهم الله تعالىٰ وغيرهم، وأوضحوا أن من أنكر السنة، فقد ضل سواء السبيل.

ومن عظم آراء الرجال وقدمها علىٰ السنة فقد ضل وأخطأ، وأن الواجب

عرض آراء الرجال مهما عظموا علىٰ كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فما شهدا له بالقبول قُبل وما لم يشهدا له بالقبول لم يقبل، والأصل في هذا: قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورىٰ: ١٠]. الآية.

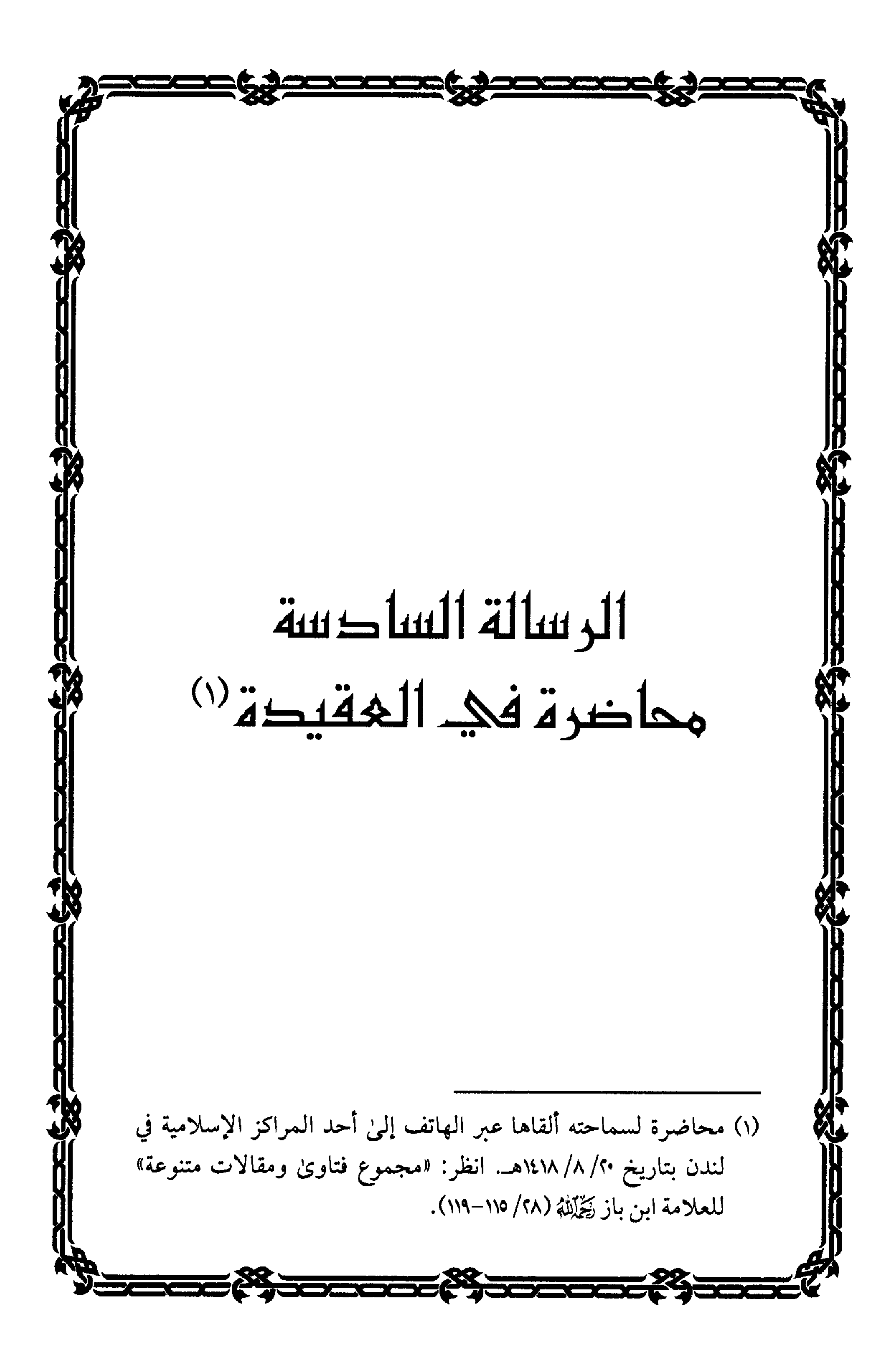
وقد كتب الحافظ السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة سماها: «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»، وذكر في أولها: أن من أنكر السنة، وزعم أنه لا يحتج بها فقد كفر بالإجماع، ونقل كثيرًا من كلام السلف في ذلك.

فهذه مكانة السنة من الإسلام، وأنها الأصل الثاني من أصول الإسلام، وأنها حجة مستقلة قائمة بنفسها يجب الأخذ بها، والرجوع إليها متىٰ صح السند عن رسول الله ﷺ بذلك.

فنسأل الله تعالىٰ التوفيق والسداد والاستقامة علىٰ ذلك، والعافية من كل ما يخالف شرعه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.





الرسالة السادسة
محاضرة في العقيدة[1]

(١) محاضرة لسماحته ألقاها عبر الهاتف إلىٰ أحد المراكز الإسلامية في لندن بتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٤١٨هـ. انظر: «مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٨/ ١١٥-١١٩).



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد:

فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم وهو أصدق القائلين:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، أوضح سبحانه في هذه الآية الكريمة، أنه خلق الثقلين، الجن والإنس ليعبدوه، وهذه العبادة هي: توحيده وطاعته واتباع شريعته، وهي الإسلام والإيمان والهدىٰ، وهي: البر والتقوىٰ، وقد أمرهم الله بهذه العبادة، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. ومعنىٰ قضىٰ أمر ووصىٰ.

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقد أرسل الله الرسل بذلك، أرسل سبحانه الرسل بهذه العبادة، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فالواجب علىٰ جميع الثقلين: الجن والإنس، والعرب والعجم، والذكور والإناث، والأغنياء والفقراء والملوك وغيرهم، الواجب علىٰ جميع الثقلين أن يعبدوه وحده، وذلك بتوحيده والإخلاص له وتخصيصه بالعبادة، دون كل ما سواه، من صلاة ودعاء وخوف ورجاء، وتوكل ورغبة ورهبة، وصوم وحج وغير هذا، هو المعبود وحده سبحانه، بالحق لا معبود بالحق سواه، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

ومن العبادات: الصلاة والصوم والزكاة، والصدقات والحج والعمرة والجهاد، وغير ذلك، فالواجب علىٰ جميع الثقلين، أن يعبدوه وحده، وأن يخصوه بالعبادة، يرجون رحمته ويخشون عقابه ﷻ.

وعليهم التواصي بذلك والتناصح بذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟﴾ [المائدة: ٢].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣]. أقسم سبحانه وهو الصادق، وإن لم يقسم أن الإنسان في خسران، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، هؤلاء هم الرابحون.

والله سبحانه يقسم من خلقه بما يشاء، لا أحد يتحجر عليه جل وعلا، كما أقسم بالذاريات، والنجم، والطور، والليل إذا يغشىٰ، وغير ذلك.

أما العبد فليس له أن يحلف إلا بالله، العبد إنسان ليس له أن يحلف إلا بربه، كما قال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، في الحديث الصحيح: «**من كان حالفًا**

فليحلف بالله أو ليصمت»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من حلف بشيء غير الله فقد أشرك»(٢).

فلا يجوز الحلف بغير الله، لا بالأنبياء ولا بغيرهم، ولكن يحلف بالله وحده، فلا يجوز أن يقول بالنبي، ولا بالأمانة ولا بشرف فلان، ولا حياة فلان، هذا لا يجوز.

أما ربنا سبحانه فله أن يقسم بما يشاء ﷻ.

وهذه السورة العظيمة القصيرة تدل علىٰ أن الناس في خسران، الرجال والنساء، العرب والعجم، والجن والإنس كلهم في خسران إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، هؤلاء هم الرابحون.

الذين آمنوا بالله ورسوله، آمنوا بأن الله ربهم ومعبودهم الحق، وآمنوا بكل ما أمر الله به في كتابه، وبكل ما أخبر به رسوله ﷺ، في الأحاديث الصحيحة.

ثم عملوا، ووحدوا الله، وخصوه بالعبادة، وآمنوا برسوله محمد ﷺ، وآمنوا بكل ما خبر الله به ورسوله، عملوا بذلك فأدوا فرائض الله، وتركوا محارم الله، ووقفوا عند حدود الله

وتواصوا بالصبر وتواصوا بالحق فيما بينهم وتناصحوا، وتواصوا بأداء ما فرض الله، وترك ما حرم الله، وتواصوا بالصبر أيضًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (٤٣٤٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٧)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» ضمن حديث رقم (٢٠٤٢).

هؤلاء هم الرابحون هم السعداء، الذين جمعوا هذه الصفات الأربع، وهي الإيمان بالله ورسوله، عما كان وما يكون، ثم عملوا فأدوا فرائض الله، وتركوا محارم الله، ووقفوا عند حدود الله، ثم تواصوا بالحق، تناصحوا فيما بينهم وتواصوا، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وأمر رابع وهو الصبر، هؤلاء هم الرابحون هم السعداء.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم وسائر المسلمين منهم.

ونسأل الله أن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه، والثبات عليه.

ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين، ومن حزبه المفلحين، إنه سبحانه وتعالى جواد كريم.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.



الفهرس